

غيرة الزوجات

إضاءات وممارسات واقعية

صبري بن سلامة سلامة شاهين

العيكان
Obekon

للحصول على كتبنا الورقية



للحصول على كتبنا الصوتية



للحصول على كتبنا الإلكترونية



ح شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

شاهين، صبري سلامة سلامة

غيرة الزوجات إضاءات وممارسات واقعية. /

صبري سلامة سلامة شاهين. - الرياض، ١٤٣٨هـ

١١٦ ص: ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٨ - ٠٩٨ - ٥٠٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١. الغيرة ٢. المرأة في الإسلام

أ. العنوان

ديوي ١، ٢١٩ ١٤٣٨ / ٩١٣٢

الطبعة الأولى

٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ

نشر وتوزيع العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: 966 11 4808654 + فاكس: 966 11 4808095 +

ص.ب: 67622 الرياض 11517

www.oobeikanretail.com

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.



﴿مَجْمُوعَاتُ الْكُتُبِ﴾

→ الصفحة

→ الموضوع

المقدمة.....	٧
تعريف الغيرة.....	١٧
هل يجوز إطلاق لفظ الضرة؟.....	٢١
ثبوت الغيرة عند أفضل نساء الأمة.....	٢٣
حفظ مودة الزوجة لا يستوجب الطعن فيها من ضررتها.....	٣١
المغاضبة منشؤها الغيرة.....	٣٧
ماذا يفعل الزوج إذا غارت زوجته؟.....	٤١
هل يحق للمرأة أن تتنصر من ضررتها؟.....	٤٨
هل يجوز للضرة أن تدفع ترفع ضررتها عليها؟.....	٥٥
هل يحق للزوجة أن تستحوذ على زوجها دون ضررائها؟.....	٦٠
هل يحق للمرأة أن تغيظ ضررتها؟.....	٦٤
من الغيرة ما يغتفر.....	٦٧
إيثار الضرة لضررتها مجلبة لرضا الزوج وامتلاك قلبه.....	٧٠
في المعارض مندوحة عن الكذب.....	٧٦
الغيرة مفتاح الطلاق.....	٨١
الوصاية بالنساء خيرًا.....	٨٥
وقفات وتوجيهات في الختام.....	٩٢
فهرس المصادر والمراجع.....	١٠٥



المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي أعطى كل نفس خلقها وهداها،
وألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب
من دساها. والحمد لله الذي أباح النكاح، وحرَّم الزنا
والسفاح، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ
لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣)،
وأصلي وأسلم على النبي الرحمة المهداة، إذ قال: «يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض
للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم،
فإنه له وجاء»^(١).

أما بعد: فإن الزواج من نعم الله الجليلة والعظيمة،
التي أنعم بها على الرجال والنساء على حد سواء، فحريٌّ
بكل مسلم ومسلمة أن يتقيا الله عز وجل في اختيار
شريك حياته ورفيقه، ولا يتعديا ما حدّه الشرع ورسمه

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠٦٦) ومسلم (رقم ١٤٠٠). وانظر: فتح
الباري (١٠٧/٩ - ١١٠) وشرح النووي (٩/ ١٧٢ - ١٧٤).





الإسلام ووضّحه الدين، فقد أرشد رسولُ الهدى ونبيُّ الرحمة الرجال والنساء إلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة، فقال ﷺ وهو يوجّه الرجال كيف يكون اختيار الزوجة: «تُنكح المرأة لأربع: لما لها وجمالها وحسبها ودينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»^(١) وقال ﷺ وهو يوجه النساء كيف يكون اختيار الزوج: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(٢).

إن إباحة تعدد الزوجات للرجل شريعةٌ محكمةٌ، ودينٌ مرضيٌّ لله، ومنهَجٌ قويمٌ، ونظامٌ جليلٌ وحكمٌ عظيمٌ، له فضائل وفوائد ومنافع، لا يشكك فيها إلا من رِق دينه وضعف عقله، فأولى به أن يعالج عقله، ويلم شتات قلبه، ويرقع دينه.

-
- (١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠٩٠) ومسلم (رقم ١٤٦٦). وانظر: فتح الباري (٩/ ١٣٥-١٣٦) وشرح النووي (١٠/ ٥١-٥٢).
 (٢) أخرجه الترمذي (رقم ١٠٨٤) وابن ماجه (رقم ١٩٦٧) والحاكم (٢/ ١٧٩ رقم ٢٦٩٥) وصححه ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٧٠).





ولا يسع المجال هنا لعرض المصالح والفوائد من تعدد الزوجات. ولكن الغرض المهم والمطلب الأسمى هو سلوك سبيل التسديد والمقاربة، ومعالجة الخلل الذي يقع في البيوت، ويحدث بين الزوجين، نتيجة عدم تطبيق ما شرعه الله عز وجل، وبينّه رسول الهدى ﷺ.

ولله در ابن قيم الجوزية رحمه الله حيث قال: سبحان الله! في النفس كِبَرُ إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل.

وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجُعَل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفارة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع.

غير أن الرياضة والمجاهدة تُذهب ذلك، فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند، ولا تصلح سلعته لعقد، لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم^(١).

(١) الفوائد (ص ٧٤ - ٧٥).



انظر وقارن بين ما قاله هاييل في رده على قابيل، وقد قال له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٧-٢٨).

وبين ما قاله يوسف الصديق لإخوته: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّوْمَ يَعْزُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٢٩)، وقد ألقوه في الجب، وهموا بقتله، وحالوا بينه وبين أبيه وأهله.

وبين ما قاله الحبيب محمد ﷺ لأهل مكة وقد دخلها فاتحاً منتصراً: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١)، قال ذلك لمن أخرجوه وآذوه وأرادوا قتله هو وأصحابه، تعلم تباين النفوس، وتفاوتها، واختلافها.

ومن الأمور التي تتفاوت فيها النفوس، وتباين، وتختلف اختلافاً كبيراً، الغيرة، فمن الناس من يغار لله ولرسوله ولمحارمه وعرضه، ومنهم من يغار لنفسه وشهواته.

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/١١٨ رقم ١٨٠٥٥).





والغيرة هي ثوران النفس لخير كان أم لشر، بسبب الحمية والأنفة، أو التنافس والحسد.

والغيرة نوعان:

نوع يحبه الله ورسوله، وهي الغيرة المحمودة.

ونوع يكرهه الله ورسوله، وهي الغيرة المذمومة.

ولكل من هذين النوعين صور عدة، وأشكال شتى، ومواقف مختلفة.

وسبحان الذي كتب الغيرة على النساء، وجعل لمن تصبر منهن أجر الشهيد، كما ورد في بعض الآثار^(١).

ولما كانت طبيعة البشر يشوبها شيء من النقص ويعتريها شيء من العيب، وكانت الغيرة من الخصال التي جبلت عليها المرأة، لا تنفك منها، أو تتخلى عنها، كان لزاماً على الرجال أن يتعاملوا مع هذا الخلق وهذه الجبلية بما يرضي الله سبحانه، فلا يتعدى الزوج حدود ما أنزل الله، لكي تسير الحياة سيرها الحثيث، وسيرتها الطيبة

(١) انظر (ص ٤٤).





العطرة، فلا يتنكد العيش، ولا تتنغص الحياة، بما تثيره الغيرة من مشكلات ومغاضبات ومخاصمات؛ لذا كان مما ينبغي الاعتناء به والوقوف عليه بيان هذه الطبيعة والجبلة عند المرأة، وأن يتعامل معها الزوج برفق وأناة، ويتصنع التجاهل والتغافل، فيقابل ما يصدر من الزوجة باللين والمدارة وغيض الطرف.

وصدق الشاعر القائل:

ما أحسن الغيرة في حينها

وأقبح الغيرة في كل حين^(١)

إن الغيرة إذا زادت عن حدها، وتعدت حدودها، شوهت وجه الحياة، وعكرت مياه البحار، وكدرت صفو الوداد، وقد أجاد الشاعر في تصويره لهذه الحقيقة بقوله:

(١) هذا البيت من بحر السريع، وينسب إلى ربيعة بن عامر بن أنيف، المعروف بـ(مسكين الدارمي)، له أخبار مع معاوية رضي الله عنه ويزيد ابنه، وكانت بينه وبين الفرزدق والأخطل وشائج مودة وهجاء، توفي سنة ٨٩هـ. وذكر البيت عبدالرحيم بن أحمد العباسي في كتابه معاهد التنقيص على شواهد التلخيص (١ / ٢٥٤) وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (١٦ / ١٢٧).



والبحر مضطرب من فرط غيرته

وقد علاه لفرط الغيرة الزبد^(١)

صحيح ما يقال: إن الغيرة من دلائل المحبة، وترجمان المودة، والمرأة التي لا تغار على زوجها ليست محبة له أو حريصة عليه، فقد دلت على ذلك ابن شرف القيرواني بقوله من بحر الطويل:

ما الحبُّ إلا غيرةٌ وصباةٌ

والصَّبُّ إلا مقلَّةٌ وفؤادُ^(٢)

وإني أوصي نفسي وإخواني الأزواج: ألا ننسى وصية النبي ﷺ لنا في النساء، حيث قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم

(١) هذا البيت من بحر البسيط، وينسب إلى عبدالكريم القيسي البسطي، من شعراء الأندلس، من رجال القرن التاسع، ولم يدرك سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ.

(٢) هذا البيت من بحر الكامل، وينسب إلى ابن شرف القيرواني: جعفر ابن محمد، شاعر وأديب من قيروان، غادرها إلى الأندلس فاستوطنها، وكان شاعر وقته، توفي سنة ٤٦٠هـ.



يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»^(١). كما ينبغي على الزوج أن يضع نصب عينيه قول رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خلقًا، رضي منها آخر»^(٢).

كما أوصي الزوجة أن تروض نفسها على الخضوع والانقياد لقائد سفينة الحياة، التي ارتضت أن تشاركه فيها، فهو الربان الذي يقودها، نحو بر الأمان والسلامة، ويأخذ بيديها إلى جنات النعيم، فعليها أن تهذب أخلاقها، وتضبط غيرتها، وترضى بقسمتها، وتسلم لقدرها، وتحتسب أجرها عند ربها، لما يصيبها من أذى مشاركتها لضرتها في زوجها، فإن صبرت كانت العاقبة لها، وعاشت كريمة، وماتت يوم تموت وهي محمودة السيرة، مشكورة، مذكورة بحسن الصنعة، يتبعها الثناء الجميل، وتتوالى لها الدعوات المباركات، تنور قبرها، وترضي ربها.

وصدق من قال: البيت الذي تزاول فيه الدجاجة عمل الديك يصير إلى خراب.

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٣١) ومسلم (رقم ١٤٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٤٦٩).



فاللهم هذب أخلاقنا، وجمّل أفعالنا، وأدرّكنا
برحمتك، وخذ بأيدينا ونواصينا إلى ما تحب وترضى،
وبلغنا جنتك، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون
أحسنه، إنك بنا رحمن رحيم، عفو كريم، وآخر دعوانا:
أن الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان
إلا على الظالمين.

اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شح أنفسنا، واهد قلوبنا،
واسلل سخيمة صدورنا، واجعل لنا في قلوب عبادك
المؤمنين ودًّا، واكتب لنا في العالمين ذكرًا حسنًا.

صبري بن سلامة بن سلامة بن شاهين آل حسين

من مواليد كفر الشوبك، مركز شبين القناطر، محافظة القليوبية، مصر
كتبت في مدينة الرياض

ssssh_1959@yahoo.com

00966567416363



تعريف الغيرة

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:
الغَيْرَةُ: بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها راء، قال
عياض وغيره: هي مشتقة من تغير القلب، وهيجان
الغضب بسبب المشاركة فيما فيه الاختصاص، وأشد ما
يكون ذلك بين الزوجين^(١).

وقال أيضًا رحمه الله: وأصل الغيرة مكتسب، لكن
إذا أفرطت في ذلك بقدر زائد عليه تلام، وضابط ذلك
ما ورد في الحديث الآخر عن جابر بن عتيك الأنصاري
رفعه: «إن من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله.
فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي
يبغض فالغيرة في غير ريبة»^(٢).

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣٢٠ / ٩).

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٢٦٥٩) وأحمد (٤٤٥ / ٥) وابن حبان
(رقم ٢٩٥) والطبراني في الكبير (٢ / ١٨٩ - ١٩٠ رقم ١٧٧٣ - ١٧٧٥)
والبيهقي في سننه الكبرى (٧ / ٣٠٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع
(رقم ٢٢٢١).



وهذا التفصيل يتمحض في حق الرجال، لضرورة امتناع زوجين للمرأة بطريق الحل. وأما المرأة فحيث غارت من زوجها في ارتكاب محرم: إما بالزنا مثلاً، وإما بنقص حقها، وجوره عليها لضررتها، وإيثارها عليها، فإذا تحقق ذلك أو ظهرت القرائن فيه، فهي غيرة مشروعة، فلو وقع ذلك بمجرد التوهم عن غير دليل، فهي الغيرة في غير ريبة.

وأما إذا كان الزوج مقسطاً عادلاً، وأدى لكل من الضرتين حقها، فالغيرة منها إن كانت لما في الطباع البشرية التي لم يسلم منها أحد من النساء، فتعذر فيها ما لم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من القول أو الفعل، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء في ذلك^(١).

وقال ابن هشام رحمه الله تعالى: قول أم سلمة: «إن لي بنتاً، وأنا غيور». ولم تقل: غيرة، فاعيل وفعل في كلام العرب للمذكر والمؤنث بلفظ واحد. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨)، ويقال: ناقة ركوب، وناقة حلوب.

(١) فتح الباري (٩/٣٢٦).



وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى: وفي حديث أم سلمة: «إن لي بنتًا، وأنا غيور» هو فعول، وهي الحمية والأنفة، يقال: رجل غيور، وامرأة غيور، بلا هاء، لأن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى.

وفي رواية: «إني امرأة غیری»، وهي فعلى من الغيرة. يقال: غرت على أهلي، أغار غيرة، فأنا غائر وغيور للمبالغة^(١).

وقال بدر الدين العيني رحمه الله تعالى: الغيرة بفتح الغين المعجمة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الراء، قال صاحب المحكم: من غار الرجل على امرأته والمرأة على بعلمها، يغار غيرة وغيرًا وغارًا وغيارًا، ورجل غيران، والجمع غیری وغياری، ورجل غيور، والجمع غُيْر بضم الياء، ومن قرأ: رسل، قال: غير. ويقال: امرأة غیری وغيور، والجمع كالجمع، والمغيار شديد الغيرة، وفلان لا يتغير على أهله، أي لا يغار. وقال الجوهري نحوه، إلا أنه لم يقل في المصادر: غيارًا. وزاد بعد قوله: ورجل مغيار

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٤٠١).



وقوم مغاير، وزاد صاحب المشارق في اسم الفاعل منه:
رجل غائر.

وقال: معنى الغيرة: تغير القلب، وهيجان الغضب
بسبب المشكلات في الاختصاص من أحد الزوجين
بالآخر، وتحريمه وذبه عنه^(١).



(١) عمدة القاري (٢٠/٢٠٥). وانظر: فتح الباري (٩/٣٢٠) وفيض
القدير (٤/٤١٨) وتحفة الأحوذى (٤/٢٧٧).





هل يجوز إطلاق لفظ الضرة؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: (جارتك) أي ضرتك، أو هو على حقيقته، لأنها كانت مجاورة لها، والأولى أن يحمل اللفظ هنا على معنیه، لصلاحيته لكل منهما، والعرب تطلق على الضرة: جارة، لتجاورها المعنوي، لكونهما عند شخص واحد وإن لم يكن حسياً، وقد تقدم شيء من هذا في أواخر شرح حديث أم زرع، ووقع في حديث حمل بن مالك: «كنت بين جارتين» يعني ضرتين، فإنه فسره في الرواية الأخرى، فقال: «امرأتين» وكان ابن سيرين يكره تسميتها ضرة، ويقول: إنها لا تضر ولا تنفع، ولا تذهب من رزق الأخرى بشيء، وإنما هي جارة. والعرب تسمي صاحب الرجل وخليطه جارة، وتسمى الزوجة أيضاً جارة لمخالطتها الرجل.

وقال القرطبي: اختار عمر تسميتها جارة أدباً منه أن يضاف لفظ الضرر إلى إحدى أمهات المؤمنين^(١).

(١) فتح الباري (٩/٢٨٣).



وقال ابن هشام رحمه الله تعالى: قوله: (ولها ضرائر)
الضرائر: النساء يجتمعن تحت الزوج الواحد. والضَّرُّ
والضَّرُّ: تزوج المرأة على الأخرى^(١).

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى: الضرائر: الأمور
المختلفة: كضرائر النساء لا يتفقن، واحدها ضَرَّة^(٢).



(١) المفصح المفهم والموضح الملهم (ص ٢٩٣).
(٢) النهاية (٨٣/٣)، ولسان العرب، لابن منظور (٤/٤٨٧).



ثبوت الغيرة عند أفضل نساء الأمة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليزبح الشاة فيهدي في خلائها منها ما يسعهن»^(١).

وفي رواية: «ما غرت على امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما غرت على خديجة، لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، وثنائه عليها، وقد أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب»^(٢).

وعنها رضي الله عنها قالت: «ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟! فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٨١٦)، ومسلم (رقم ٢٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٢٢٩)، ومسلم (رقم ٢٤٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٣٦٠٧)، وانظر: عمدة القاري (١٦ / ٢٨٠).



قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: «ما غرت على امرأة للنبي ﷺ» فيه ثبوت الغيرة، وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلاً عما دونهن، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ، لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت سبب ذلك، وأنه لكثرة ذكر النبي ﷺ إياها. ووقع في الرواية التي تلي هذه بآبين من هذا، حيث قالت فيها: «من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها».

وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة. وقال القرطبي: مرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها. قلت: وقع عند النسائي من رواية النضر بن شميل عن هشام: «من كثرة ذكره إياها، وثنائه عليها».. أشارت بذلك إلى أنها لو كانت موجودة في زمانها لكانت غيرتها منها أشد. قوله: «وأمره الله أن يشرها» إلخ.. وهو أيضاً من جملة أسباب الغيرة، لأن اختصاص خديجة بهذه البشرى مشعر بمزيد محبة من النبي ﷺ فيها.



ووقع عند الإسماعيلي من رواية الفضل بن موسى عن هشام بن عروة بلفظ: «ما حسدت امرأة قط ما حسدت خديجة، حين بشرها النبي ﷺ ببيت من قصب» الحديث.

قوله: «وإن كان ليزبح الشاة» إلخ..، إن مخفة من الثقيلة، ويراد بها تأكيد الكلام، ولهذا أتت باللام في قولها: ليزبح.

قوله: «في خلائلها» بالخاء المعجمة: جمع خلية أي صديقة، وهي أيضًا من أسباب الغيرة، لما فيه من الإشعار باستمرار حبه لها، حتى كان يتعاهد صواحباتها^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قال: «استأذنت هالة بنت خويلد على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك. فقال: «اللهم هالة بنت خويلد». فغرت فقلت: «وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، همراء الشديقين، هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيرًا منها»^(٢).

(١) فتح الباري (١٣٦/٧).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٣٨٢١) ومسلم (رقم ٢٤٣٧)، وانظر: فتح الباري (١٤٠/٧).



قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقوله: «فارتاح لها» وقال: «اللهم هالة بنت خويلد» أي هاشم لبرها، ونشطت نفسه سرورًا بها، وفي هذا كله منه عليه الصلاة والسلام حسن عهد، وحفاظ على رعاية حق خديجة وبرها وودها بعدها، وهو من حسن الإيمان^(١).

وقول عائشة: «فغرت وقلت: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين»، إشارة إلى كبر سنهما ومبالغة في ذلك، أي: أنها قد سقطت أسنانها من الكبر، فلم يبق لشدقيها بياض، إلا حمرة لثاتها. قالته لما طبع عليه نساء البشر من الغيرة.

(١) بَوَّب البخاري في صحيحه، باب: حسن العهد من الإيمان، وذكر حديث عائشة رضي الله عنها: ما غرت على امرأة.

وأخرج الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنت؟» قالت: أنا جثامة المزنية. فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال: «إنها كانت تأتيننا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواياته في أحاديث كثيرة، وليس له علة. المستدرك (١/٦٢ رقم ٤٠)، وانظر: فتح الباري (١٠/٤٣٥-٤٣٦) وشرح النووي (٢٠٢/١٥).



قال الطبري وغيره: الغيرة من النساء مسموح لهن فيها، وغير منكر من أخلاقهن ولا معاتب لها، لما جبلن عليه من ذلك، وأنهن لا يملكن أنفسهن عندها، ولهذا لم يزجر النبي عليه الصلاة والسلام عائشة ولا رد عليها. وقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام: «أن الغبراء لا تدري أعلى الوادي من أسفله». وعذرهما لما علم من فطرتها على ذلك وشدة غيرتها^(١).

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: وقول عائشة رضي الله عنها: «وما تذكر من عجوز من عجائز قريش»، الحديث قول أخرجه من عائشة فرط الغيرة وخفة الشباب والدلال، ولذلك لم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مما قالت، وقد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث: أن الغيرة لا تؤاخذ بها يصدر عنها في حال غيرتها، وليس ذلك أخذاً صحيحاً، لأن الغيرة هنا جزء السبب، لا كل السبب، وذلك أن عائشة رضي الله عنها اجتمع فيها تلك الأمور الثلاثة: الغيرة والشباب - ولعل ذلك كان قبل بلوغها - والدلال، وذلك أنها كانت أحب نسائه إليه بعد خديجة، فإحالة الصنف عنها على بعض هذه (١) إكمال المعلم (٧/٤٤٣-٤٤٤) وانظر: شرح النووي (١٥/١٩٨).



الأمر تحكم، لا يقال: إنما يصح إسناد الصفح إلى الغيرة، لأنها هي التي نصت عليها عائشة، فقالت: فغرت. لأننا نقول: لو سلمنا أن غيرتها وحدها أخرجت منها ذلك القول لما لزم أن تكون غيرتها وحدها هي الموجبة للصفح عنها، بل يحتمل أن تكون الغيرة وحدها، ويحتمل أن تعتبر باقي الأوصاف لاسيما لم ينص النبي ﷺ على المسقط ما هو؟ فبقي الأمر محتملاً للأمرين، فلا يكون فيه حجة على ذلك، والله تعالى أعلم^(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قولها: «ما غرت على امرأة» بينت سبب ذلك، وأنه كثرة ذكر رسول الله ﷺ لها، وهي وإن لم تكن موجودة وقد أمنت مشاركتها لها فيه، لكن ذلك يقتضي ترجيحها عنده، فهو الذي هيج الغضب الذي يثير الغيرة، بحيث قالت ما تقدم في مناقب خديجة: «أبدلك الله خيراً منها» فقال: «ما أبدلني الله خيراً منها»، ومع ذلك فلم ينقل أنه واخذ عائشة، لقيام معذرتها بالغيرة التي جبل عليها النساء^(٢).

(١) المفهم (٣١٨/٦) وانظر: إكمال إكمال المعلم للأبي (٨/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٢) فتح الباري (٩/ ٣٢٦-٣٢٧).



وفي ضوء ما سبق يتبين لنا: أن حسن معاشرة الزوج لإحدى نسائه، وذكره لها بالخير، وثناءه عليها، لا يستوجب من الزوجة الأخرى أن تطعن في هذه المرأة، أو تقلل من شأنها، الأمر الذي يجعل قلب زوجها يتغير عليها، وتثير حنقه وغيظه منها، وخاصة إذا لم يكن لها دلال مثل دلال عائشة على رسول الله ﷺ، كما أن هذا الموقف الطيب من الزوج، وهذا الصنيع الحسن منه لا يعني بأي حال من الأحوال أن يثير حنق الزوجة ويغيظها بذكر محاسن ضررتها، بل ينبغي أن يحمل منه على حسن العشرة وحفظ الود، لا لإثارة الضغائن والشحناء.

وحذار حذار أيتها الزوجة: أن يستغل ذلك الشيطان، فيوغر صدرك، ويغير نفسك، ويزرع فيها البغضاء، ويشعل في بيتك نيران الغيرة العمياء، فتأكلها النار فيمن أول من تأكل، وتهدم بيتها بيديها، وتخرب على نفسها عشها، ثم تندم فيما لا ينفع ندم، وتدعو على نفسها بالويل والثبور وعظائم الأمور، فإياك إياك أن يأتي الشيطان من قبلك، ليفسد عليك حياتك، وتخسري



بعلك وبيتك وأولادك، فتكوني عوناً للشيطان على نفسك
قبل زوجك وأولادك. فقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا،
فقال: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيك»^(١).



(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٧٨١)، وانظر: فتح الباري (١٢/ ٧٦، ٦٧).





حفظ مودة الزوجة

لا يستوجب الطعن فيها من ضررتها

جاء في حديث استئذان هالة بنت خويلد على رسول الله ﷺ: «فارتاح» بدل: «ارتاع». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله: «فعرّف استئذان خديجة»، أي صفته لشبه صوتها بصوت أختها، فتذكر خديجة بذلك. وقوله: «ارتاع» من الروع بفتح الراء أي فزع، والمراد من الفزع لازمه وهو التغير. ووقع في بعض الروايات: «ارتاح» بالحاء المهملة، أي اهتز لذلك سرورًا.

وقوله: «اللهم هالة» فيه حذف تقديره: اجعلها هالة. فعلى هذا فهو منصوب، ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي هذه هالة، وعلى هذا هو مرفوع.

وفي الحديث: أن من أحب شيئًا أحب محبوباته، وما يشبهه وما يتعلق به.

قوله: «همراء الشدقين» قال القرطبي: والذي عندي أن المراد بذلك نسبتها إلى السن، لأن من دخل في



سن الشيخوخة مع قوة في بدنه. والذي يتبادر أن المراد بالشدين ما في باطن الفم، فكنت بذلك عن سقوط أسنانها، حتى لا يبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة وغيرها، وبهذا جزم النووي وغيره. ولا يلزم من كونه لم ينقل في هذه الطريق أنه عليه السلام رد عليها عدم ذلك، بل الواقع أنه صدر منه رد لهذه المقالة، ففي رواية أبي نجيح عن عائشة عند أحمد والطبراني في هذه القصة: قالت عائشة فقلت: أبدلك الله بكبيرة السن حديثه السن. فغضب، حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير^(١).

وروى أحمد أيضًا والطبراني من طريق مسروق عن عائشة في نحو هذه القصة، فقال عليه السلام: «ما أبدلني خيرًا منها، آمنت بي إذ كفر بي الناس»^(٢) الحديث، قال عياض: قال الطبري وغيره من العلماء: الغيرة مسامح للنساء ما

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٤ رقم ٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (١١٧/ ٦) والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٣ رقم ٢١)، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٢٨): تفرد به أحمد أيضًا، وإسناده لا بأس به، ومجالد روى له مسلم متابعة، وفيه كلام مشهور، والله أعلم.



يقع فيها، ولا عقوبة عليهن في تلك الحالة لما جبلن عليه منها، ولهذا لم يزجر النبي ﷺ عائشة عن ذلك. وتعقبه عياض بأن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شببتها، فلعلها لم تكن بلغت حينئذ. قلت: وهو محتمل مع ما فيه من نظر. قال القرطبي: لا تدل قصة عائشة هذه على أن الغيرة لا تؤاخذ بها يصدر منها، لأن الغيرة هنا جزء سبب، وذلك أن عائشة اجتمع فيها حينئذ الغيرة وصغر السن والدلال. قال: فإحالة الصفح عنها على الغيرة وحدها تحكم، نعم الحامل لها على ما قالت الغيرة، لأنها هي التي نصت عليها بقولها: فغرت. أما الصفح فيحتمل أن يكون لأجل الغيرة وحدها، ويحتمل أن يكون لها ولغيرها من الشباب والإدلال. قلت: الغيرة محققة بتنصيبها، والشباب محتاج إلى دليل، فإنه ﷺ دخل عليها وهي بنت تسع، وذلك في أول زمن البلوغ، فمن أين له أن ذلك القول وقع في أوائل دخوله عليها، وهي بنت تسع. وأما إدلال المحبة فليس موجباً للصفح عن حق الغير، بخلاف الغيرة فإنها يقع الصفح بها، لأن من



يحصل لها الغيرة لا تكون في كمال عقلها، فلهذا تصدر منها أمور لا تصدر منها في حال عدم الغيرة، والله أعلم^(١).

وفي ضوء ذلك أيضًا ينبغي على المرأة: إذا رأت من زوجها اهتمامًا يخص ضررتها ألا تنزعج، وتدع الغيرة تأكل قلبها، فيصدر منها فعل أو تصرف أو تتلفظ بكلام تكون عاقبته سوءًا وخسرانًا عليها، فتسمع من زوجها ما يضرها ويسوؤها، فها هي الصديقة بنت الصديق عليها السلام تسمع من رسول الله ﷺ ما يسوؤها لما قالت له: أبدلك بكبيرة السن حديثة السن. فغضب لذلك غضبًا شديدًا، وسمعت ما ساءها، فقال ﷺ: «ما أبدلني الله خيرًا منها». ففي هذا القول تصريح بأنها ليست خيرًا من خديجة، بل فيه تلميح بأن خديجة خير منها.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة: «آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء».

(١) فتح الباري (٧/ ١٤٠-١٤١).



قوله: «وكان لي منها ولد». وكان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة، إلا إبراهيم، فإنه كان من جاريته مارية^(١).

وهذا من أغبط ما يغبط المرأة أن يقال لها مثل هذا القول: رزقت الأولاد من غيرك ولم أرزق منك ولدًا. فهذا يقتل المرأة ويدمرها، وما كان لرسول أن يعنف عائشة الصديقة بنت الصديق بمثل هذا التعنيف لولا مكانة خديجة وعلو شأنها عنده، وعظم الخطأ الذي بدر منها في حق خديجة ﷺ.

وقال الحافظ أيضا: ومما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها، فروى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت^(٢). وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها، لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عامًا، انفردت خديجة منها بخمسة

(١) فتح الباري (٧/١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٤٣٦)، وانظر: فتح الباري (٧/١٣٧).



وعشرين عامًا، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول
المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر، الذي
ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة
لم يشاركها فيها غيرها^(١).

وفي هذا إثبات خيرية خديجة على عائشة رضي الله عنها، وإن
كان للعلماء في تفضيل أيتها على الأخرى كلام ليس هذا
موضع ذكره^(٢).

كما ينبغي على الزوجة أن تسارع بالفئة، وتعجل بالرجعة،
فتسترضي زوجها، وتستجلب محبته بتقديم الاعتذار والأسف
والندم على ما بدر منها، كما فعلت أمنا رضي الله عنها، بقولها لرسول
الله ﷺ: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير.



(١) فتح الباري (٧/ ١٣٧).

(٢) يراجع في معرفة أيتها أفضل خديجة أم عائشة رضي الله عنها؟ كلام ابن قيم
الجوزية رحمه الله تعالى في جلاء الأفهام (ص ١٣٣) وبدائع الفوائد
(٣/ ١٤٠) وخلاصة القول: إن خديجة أفضل في أول الإسلام لنصرة
الدين وقيامها بما لم يقم به غيرها. وعائشة أفضل في آخر الإسلام
لحملها الدين وتبليغه إلى الأمة. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله.

المغاضبة منشؤها الغيرة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبي» قال: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم» قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: «إني أعلم إذا كنت عني راضية» إلخ... يؤخذ منه استقراء الرجال حال المرأة من فعلها وقولها، فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه، والحكم بما تقتضيه القرائن من ذلك، لأنه ﷺ جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتها، فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب، ويحتمل أن يكون انضم إلى ذلك شيء آخر أصرح منه لكن لم ينقل. وقول عائشة: أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك. قال الطيبي: هذا الحصر لطيف

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٢٢٨)، ومسلم (رقم ٢٤٣٩).



جداً، لأنها أخبرت أنها إذا كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة، فهو كما قيل:

إني لأمنحك الصدود وإنني

قسماً إليك مع الصدود لأميل^{(١) (٢)}

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقوله: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبانية» إلى قولها: أجل ما أهجر إلا اسمك. معنى أجل هنا: نعم. مغاضبة عائشة للنبي ﷺ هو مما تقدم للغيرة التي عفا عنها لها من أجلها وعن النساء في كثير من الأحكام، حتى قد ذهب مالك وغيره من علماء أهل المدينة إلى إسقاط الحد عنها إذا رمت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة، واحتج لذلك بما روي عن النبي ﷺ: «ما تدري الغيرة أعلى

(١) فتح الباري (٣٢٦/٩).

(٢) هذا البيت من بحر الكامل، وينسب إلى الأصوص الأنصاري الأموي، كان هجاءً، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر، توفي سنة ١٠٥ هـ. ذكر البيت الشنقيطي في أضواء البيان (٥/٤٤٧)، والقرطبي في تفسيره (٢١/١٤)، والنحاس في معاني القرآن (٤/٢٢٨).



الوادي من أسفله» ولولا هذا لكان على عائشة في ذلك من الحرج ما فيه، لأن الغضب على النبي ﷺ وهجره كبير لمن فعله واعتقده^(١).

في ضوء هذا ينبغي على الزوجين: أن يتجنبوا أسباب الغضب ودواعيه، فإن الشيطان أملك ما يكون للإنسان في حال الغضب، من أجل ذلك أوصى رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه، فقال له: «لا تغضب»^(٢) وكررها له.

كما ينبغي على الزوجين: أن يحرص كل منهما على إرضاء الآخر، وأن يكون سلفهم في ذلك موقف أبي الدرداء مع زوجته أم الدرداء، حينما قال لها: إذا غضبتُ ترضيني، وإذا غضبتِ أَرْضَيْتِكِ، فإنك إن لم تفعلي ذلك فما أسرع أن نفترق^(٣).

(١) إكمال المعلم (٤٤٦/٧) وانظر: المفهم (٣٢٢/٦) وشرح النووي (٢٠٠/١٥) وشرح الأبي (٢٩١/٨).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦١١٦)، وانظر: فتح الباري (٥١٩/١٠-٩٢٠) وشرح النووي (١٦٣/١٦).

(٣) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥١/٧٠)، والمزي في تهذيب الكمال (٣٥٤/٣٥).



لأن في إرضاء كل من الزوجين لصاحبه حياة طيبة وعيشًا هنيئًا، أما إذا قامت الحياة بين الزوجين على المخاصمة والمغاضبة والانتصاف وتتبع العثرات وإساءة الظنون، صارت الحياة جحيماً لا يطاق، وتنوراً تصطلي فيه الأفئدة والأرواح، فلا خير في مثل تلك الحياة، ومن جرّب ليس كمن سمع.

كما ينبغي على الزوجة: ألا تسترسل مع الغيرة وتنقاد لها، وتجبد في قول مالك وغيره من علماء أهل المدينة إلى إسقاط الحد عنها إذا رمت زوجها بالفاحشة - مبرراً لأن تتخذ ذلك ذريعة إلى رمي زوجها بالفاحشة - عياداً بالله - كلما غضبت، لأن في ذلك إغضاباً لزوجها وإساءة إليه وإلى أولاده وأهله وعشيرته، الأمر الذي يجعل الحياة بينهما مستحيلة، وإن استمرت فلن تسلم من غضبه وعقوبته، ومن منغصات وإشكالات.





ماذا يفعل الزوج إذا غارت زوجته؟

الغيرة المحمودة عند النساء أن تغار إذا ارتكب زوجها فعلاً محرماً: كالزنا ونحوه، أو جار عليها زوجها، وفُضِّلَ ضررها عليها. وهناك غيرة لا تدم ولا تحمد، وهي ما يكون لدى النساء خاصة، فقد يصدر من الزوجة أمر اقتضته طبيعتها وجبلتها، فلا تلام ولا تحمد عليه.

قال أنس: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين، بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحيفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحيفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحيفة، ويقول: «غارت أمكم». ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحيفة الصحيحة، إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت^(١).

وقوله ﷺ: «غارت أمكم». فيه إشارة إلى عدم مؤاخذه الغيرة بما يصدر منها، لأنها في تلك الحالة يكون

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٢٢٥)، وانظر: فتح الباري (٥/ ١٢٥).



عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة. فإن كانت الغيرة تفعل مثل ذلك وأكثر، فحري بالأزواج أن يلحظوا مثل هذه المواقف، ويتغاضوا عنها كما تغاضي رسول الله ﷺ.

والغيرة المذمومة: هي التي تكون من غير ريبة، ودونها سبب، أو إذا أفرطت المرأة وخرجت عن المعهود وتعدت الحدود.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: «غارَت أمكم» الخطاب لمن حضر، والمراد بالأم هي التي كسرت الصحيفة، وهي من أمهات المؤمنين كما تقدم بيانه، وأغرب الداودي فقال: المراد بقوله: «أمكم» سارة، وكأن معنى الكلام عنده: لا تتعجبوا مما وقع من هذه من الغيرة، فقد غارت قبل ذلك أمكم، حتى أخرج إبراهيم ولده إسماعيل وهو طفل مع أمه إلى واد غير ذي زرع، وهذا وإن كان له بعض توجيه، لكن المراد خلافه، وأن المراد كاسرة الصحيفة، وعلى هذا حمّله جميع من شرح هذا الحديث، وقالوا: فيه إشارة إلى عدم مؤاخذه الغيرة



بما يصدر منها، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب، الذي أثارته الغيرة. وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعاً: «إن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»^(١) قاله في قصة. وعن ابن مسعود

(١) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان متاعي فيه خفٌّ وكان على جمل ناج، وكان متاع صفية فيه ثقلٌ وكان على جمل ثَقَلْ بطيء يتبطأ بالركب. فقال رسول الله ﷺ: «حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة، حتى يمضي الركب» قالت عائشة: فلما رأيت ذلك قلت: يا لعباد الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا أم عبد الله إن متاعك كان فيه خَفٌّ، وكان متاع صفية فيه ثَقْلٌ، فأبطأ الركب، فحولنا متاعها على بعيرك، وحولنا متاعك على بعيرها. قالت: فقلت: أأست تزعم أنك رسول الله؟ قالت: فتبسّم، قال: «أو في شك أنت يا أم عبد الله» قالت: قلت: أأست تزعم أنك رسول الله؟ أفهلا عدلت؟ وسمعتني أبو بكر، وكان فيه غزْبٌ -أي حدة- فأقبل عليّ فلطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً أبا بكر» فقال: يا رسول الله أما سمعت ما قالت؟ فقال: «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه». أخرجه أبو يعلى (رقم ٤٦٧٠) وأبو الشيخ في أمثال الحديث (رقم ٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٢٥): رواه أبو يعلى وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس، وسلمة بن الفضل وقد وثقه جماعة: ابن معين وابن حبان وأبو حاتم، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح وقد رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الأمثال، وليس فيه غير أسامة بن زيد الليثي، وهو من رجال الصحيح، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وقد مال إلى تحسينه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٣٢٥).

وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٧٠٦-٧٠٧ رقم ٤٩٦٧)



رفعه: «إن الله كتب الغيرة على النساء، فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد»^(١). أخرجه البزار، وأشار إلى صحته ورجاله ثقات، لكن اختلف في عبيد بن الصباح منهم^(٢).

ونظرًا لكثرة آفات اللسان عند النساء؛ فإن على الزوج المسلم أن يراعي ذلك في زوجته، فإن الله تعالى قد ذكرهن داخلات في القوم، وذكرهن منفصلات عنهن، فقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ضعيف. ثم قال: ومن المحتمل أن يكون أبو الشيخ أخرجه من طريقين، في أحدهما ابن إسحاق دون الطريق الأخرى، وفي هذه الليثي فقط، كما أفاده الهيثمي، فإن صح كلامه، فالحديث حسن عندي على أقل المراتب، والله أعلم.

(١) فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ جلوسًا إذ أقبلت امرأة عريانة، فشق ذلك على النبي ﷺ وغمض عينيه، فقام إليها رجل من القوم، فألقى عليها ثوبًا وضمها إليه، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله ما أظنها إلا امرأته. فقال رسول الله ﷺ: «أحسبها غيرى، إن الله عز وجل كتب الغيرة على النساء، والجهاد على الرجال، فمن صبر منهن إيمانًا واحتسابًا كان لها مثل أجر الشهداء» أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٠٧/١٠ رقم ١٠٠٤٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٣/٤): رواه الطبراني والبزار وفيه عبيد بن الصباح ضعفه أبو حاتم ووثقه البزار وبقية رجاله ثقات. وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/٢٠ رقم ٥٤٢٦): ضعفه أبو حاتم. روى عنه أحمد بن يحيى الصوفي وغيره، فمن منكره: عن كامل عن الحكم عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله مرفوعًا. وذكر الحديث.

وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (رقم ٨١٣): منكر.

(٢) فتح الباري (٣٢٥/٩) وانظر أيضًا: عمدة القاري (٢٠/٢٠٩).



ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴿١١﴾ (الحجرات: ١١)، فهؤلاء النساء داخلات في القوم، ثم كرر التنبيه سبحانه، وخصهن بالنهي أيضًا، ولذلك ترى الغيبة والنميمة في أوساط النساء كثيرة، فماذا ينبغي عليك فعله أيها الزوج إذا بدر من زوجتك مثل هذا الفعل؛ فانظر إلى النبي ﷺ كيف كان يتعامل مع زوجاته إذا وقع منهن شيئًا من ذلك، ولو كان قليلاً يسيراً، جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، تعني قصيرة. إن قولها هذا لم يكن الباعث منه الازدراء والسخرية، ولكنه صدر منها بباعث الغيرة، فقال لها موجهًا ومؤدبًا ومحذرًا: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»^(١). أي لمزجته وطغت عليه من شدة هذه الكلمة، وعظم خطورتها، قالت: وحكيت له إنسانًا. أي أنها مثلت له حركة أو قولًا. فقال: «ما أحب أني حكيت إنسانًا، وإن لي كذا وكذا»^(٢)، أي ما يسرني

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٨٧٥)، والترمذي (رقم ٢٥٠٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/٢٤٧ رقم ٢٠٩٥٤)، وإسحاق بن راهويه (٣/٩٠٨ رقم ١٥٩٦)، وابن الجعد (رقم ١٧٣٦)، وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه (رقم ١٨٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (رقم ٢٨٣).



أن أتحدث بعبيه. وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ صفية أن حفصة قالت لها: ابنة يهودي. أي أن حفصة قالت لصفية هي ابنة يهودي. فبكت صفية، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي، فقال النبي ﷺ: «إنك لابنة نبي»، وإن عمك نبي، وإنك لتحت نبي أي: إنك من سلالة موسى وهارون، فجذك موسى نبي، وأخوه هارون عمك نبي، وإنك لتحت نبي ﷺ، فبم تفخر عليك!! ثم قال: «اتقي الله يا حفصة»^(١) هذا هو النبي ﷺ في تعليمه لزوجاته، وكيف يكون الموقف ممن زل لسانها في حق أختها، ولو كان الدافع قوياً، فهذا مما ينبغي على الزوج المسلم أن يعمل في تربيته لزوجته.

وفي ضوء هذا يلزم الزوج: أن يتعامل مع الحدث بتؤدة وصبر وسكينة وحكمة وتعقل، وألا يؤاخذ زوجته الغيرة وهي في ثورة غضبها وحدة غيرتها، فتزداد النار اشتعالاً.

وينبغي على الزوج أيضاً أن يخفف من وقع الأمر العصيب، ويلطف الأجواء، ويكسر حدة الغضب بدعابة أو مازحة.

(١) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥/ ١٧٢ رقم ١٧٩٣)، والترمذي (رقم ٣٨٩٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.



كما ينبغي على من أفسد شيئاً أن يصلحه، وأن تحفظ الحقوق، وترد لأصحابها.

وكما ينبغي على الزوجة ألا تخرج عن سمتها وهدايا وأخلاق دينها، فتجهل وتخرج زوجها أو تشق عليه، أو تكلفه ما لا يطيق، فقد لا يقدر على ضبط مشاعره والتحكم من غضبه، فيقع منه ما لا تحمد عاقبته.

ومما ينبغي على الزوج أن يقوم به إذا تعدت إحدى زوجاته على الأخرى بغيبة أن ينكر عليها، ويعظها ويذكرها بتقوى الله، ويرد غيبة المذكورة بسوء، ويطيب خاطرها بذكر محاسنها، ودفع مضرة الغيبة عنها.





هل يحق للمرأة أن تنتصر من ضررتها؟

عن عائشة رضي الله عنها: أن نساء رسول الله ﷺ كن حزينين: حزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فكلّم حزب أم سلمة، فقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس، فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهدده إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلّمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل شيئاً، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلن لها: فكلّميه. قالت: فكلّمته حين دار إليها أيضاً، فلم يقل لها شيئاً. فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلن لها: فكلّميه حتى يكلمك. فدار إليها فكلّمته، فقال لها: «لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة» قالت: فقالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله. ثم



إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر. فكلمته، فقال: «يا بنية ألا تحبين ما أحب؟» قالت: بلى. فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه. فأبت أن ترجع، فأرسلن زينب بنت جحش، فأتته فأغلظت وقالت: إن نساءك ينشدنك العدل في بنت ابن أبي قحافة. فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسببتها، حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلم؟ قال: فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها. قالت: فنظر النبي ﷺ إلى عائشة، وقال: «إنها بنت أبي بكر»^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: «فأرسلن زينب بنت جحش»، زاد مسلم: «وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ» فذكر الحديث، وفيه ثناء عائشة عليها بالصدق، وذكرها لها بالحدة التي تسرع منها الرجعة.

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٥٨١)، ومسلم (رقم ٢٤٤٢)، وانظر: عمدة القاري (١٣/ ١٣٧-١٣٩).



قوله: «فأغلظت» في رواية مسلم: «ثم وقعت بي فاستطالت»، وفي مرسل علي بن الحسين: «فوقعت بعائشة، ونالت منها».

قوله: «فسببتها حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة: هل تكلم؟» في رواية مسلم: «وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه: هل يأذن لي فيها؟ قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر»، وفي هذا جواز العمل بما يفهم من القرائن، لكن روى النسائي وابن ماجه مختصرًا من طريق عبدالله البهي عن عروة عن عائشة قالت: دخلت عليّ زينب بنت جحش فسببني، فردعها النبي ﷺ فأبت. فقال: «سببها» فسببتها، حتى جف ريقها في فمها.

قوله: «فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها»، وفي رواية مسلم: «فلما وقعت بها لم أنشبها أن أثختها غلبة» ولا بن سعد: «فلم أنشبها أن أفحمتها».

وفي الحديث منقبة ظاهرة لعائشة، وأنه لا حرج على المرء في إثارة بعض نسائه بالتحف، وإنما اللازم العدل في



المبيت والنفقة ونحو ذلك من الأمور اللازمة، كذا قرره ابن بطال عن المهلب. وتعقبه ابن المنير بأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك، وإنما فعله الذين أهدوا له، وهم باختيارهم في ذلك (١) (٢).

وفيه تنافس الضرائر وتغايرهن على الرجل، وأن الرجل يسعه السكوت إذا تقاولن، ولا يميل مع بعض على بعض.

قال الداودي: وفيه عذر النبي ﷺ لزيب. قال ابن التين: ولا أدري من أين أخذه؟ قلت: كأنه أخذه من مخاطبتها النبي ﷺ لطلب العدل، مع علمها بأنه أعدل الناس، ولكن غلبت عليها الغيرة، فلم يؤاخذها النبي ﷺ بإطلاق ذلك.

وفي ضوء ذلك يتبين لنا: أنه من فرط الغيرة قد تظن الزوجة أن زوجها لا يعدل، بينما هو في حقيقة الأمر على

(١) فتح الباري (٢٠٧/٥-٢٠٨) باختصار.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٣٨/٩): قال ابن المنير: يؤخذ من تفضيل بعض النساء على بعض في الوليمة جواز تخصيص بعضهن دون بعض بالإتحاف والألطف والهدايا.



الجادة وصراط الله المستقيم، يتحرى العدل، بل قد يحسن أكثر من العدل، ومع ذلك فإن المرأة لديها قناعة تامة أنه ظالم لها، فتظل تناشده العدل، ولا أدل على هذا من موقف زوجات الرسول أمهات المؤمنين، وهن يناشدن رسول الله ويطلبن منه العدل، مع أنه أعدل الناس، وتظل هذه المناشدة والمطالبة ليالي عديدة، يكلفن فيها أم سلمة، ثم يثنين من بعدها بفاطمة، ثم يثلثن بزينب، فيقع الصدام بينها وبين عائشة رضي الله عن الجميع.

كما ينبغي على النسوة اللاتي تحت رجل واحد: أن يؤمنن بقدر الله، ويرضين بقسمته، ويسلمن لما يكتبه الله عليهن، ويعلمن أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأن محبة الزوج لإحدى نسائه أكثر من غيرها ليس له عليها سبيل، بل لا دخل للإنسان في ذلك، فمحاولة التنافس من النسوة على امتلاك قلب الزوج عبث لا طائل من ورائه، اللهم إلا أن تكون العناية والاهتمام من الزوجة لزوجها وتيسير أسباب السعادة والراحة له مدعاة لجلب محبته، وميل قلبه إليها، أمر قد



يكون له وجاهته، إلا أن أصل المحبة في القلب لا طاقة للبشر في امتلاكها أو تيسير أمرها.

وكما ينبغي للمرأة: أن تدرك مواقع قدميها، وتبصر مواضع خطواتها، وتحذر أن تخونها مكانتها عند زوجها، فتقدم على أمر تظن أن منزلتها عند زوجها تشفع لها، إذا وقعت في المحذور، وارتكبت الممنوع.

كما يحق للزوجة: أن تنتصر من ضررتها إذا اعتدت عليها، عملاً بقول الله تعالى ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (البقرة: ١٩٤)، ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤١)، وإن ساحت وتجاوزت وصفحت فهذا لا شك أفضل وأحسن.

كما ينبغي على الزوجة: ألا تنسى فضائل ضررتها، فتعطي حقها، وتنكر فضلها، فها هي أم المؤمنين عائشة برغم ما حدث بينها وبين زينب، تثني عليها بالصدقة، وذكرها لها بالحدة التي تسرع منها الرجعة. وكان من زينب الموقف الجميل في حادثة الإفك، فلم تخض فيما



خاض فيه الهالكون، حتى إن أختها حمنة بنت جحش هلكت فيمن هلكوا فيه، وحفظ زينب الورك والدين والتقوى، فلم تقل في عائشة قولاً سيئاً.

كما ينبغي على الزوج في مثل هذه الأمور التي تشب بين نسائه: أن يسلك السبيل الذي سلكه رسول الله ﷺ، ويسكت، بل يسعه السكوت، ولا يميل مع من يحب. والحمد لله على موافقة السنة^(١).

وينبغي أيضاً على الزوج: ألا يؤاخذ امرأته بالعقوبة والشدة إذا اتهمته بعدم العدل، ووقوعه في الظلم.



(١) أحمد الله تعالى الذي وفقني لموافقة السنة، فقد كان لدي زوجتان، كل منهما زعمت أمراً، وأقسمت عليه إنها لصديقة فيه، وليس عندي دليل على أيتهما أولى بالمصداقية، غير أن قلبي مال إلى الأولى، لدلائل قديمة على تحريها الصدق، ولكن الثانية أقسمت هي الأخرى إنها لصديقة، فأرجعت ذلك إلى النسيان أو التوهم، والتمست العذر لهما رحمة بهما، وشفقة عليهما، ومودة لهما، فساعتها لم يكن عندي دليل أستند إليه وأعمل به، فوسعني السكوت، ولم أتحذ أي موقف مع هذه أو تلك، بيد أني بعد مدة قرأت هذا الكلام للحافظ في الفتح، فانشرح صدري وحمدت ربي على موافقة السنة، وكان فرحي بذلك يفوق فرح المحب إذا لاقى محبوبه بعد فرقة وصدود.



هل يجوز للضرة أن تدفع ترفع ضررتها عليها؟

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلوى، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر، فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت، فسألت عن ذلك؟ فقل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالنَّ له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولِي: أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: لا، فقولِي له: ما هذه الريح التي أجد منك؟ فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فقولِي له: جرت نحله العرْفَط. وسأقول ذلك. وقولِي أنت يا صفية ذاك. قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فَرَقًا منك. فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول أكلت مغافير. قال: «لا». قال: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. فقالت: جرت نحله العرْفَط. فلما دار إليّ قلت له نحو ذلك. فلما دار إلى صفية



قالت له مثل ذاك. فلما دار إلى حفصة قالت: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي فيه». قالت: تقول سودة: والله لقد حرمناه. قلت لها: اسكتي^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وفي الحديث من الفوائد: ما جبل عليه النساء من الغيرة، وأن الغيرة تعذر فيما يقع منها من الاحتيال، فيما يدفع عنها ترفع ضررتها عليها بأي وجه كان، وترجم عليه المصنف في كتاب ترك الحيل: (ما يكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر).

وفيه: الأخذ بالحزم في الأمور، وترك ما يشتهه الأمر فيه من المباح، خشية من الوقوع في المحذور، وفيه: ما يشهد بعلو مرتبة عائشة عند النبي ﷺ، حتى كانت ضررتها تهابها، وتطيعها في كل شيء تأمرها به، حتى في مثل هذا الأمر مع الزوج، الذي هو أرفع الناس قدرًا.

وفيه إشارة إلى ورع سودة لما ظهر منها من التندم على ما فعلت، لأنها وافقت أولاً على دفع ترفع حفصة عليهن

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٢٦٨)، ومسلم (رقم ١٤٧٤)، وانظر: فتح الباري (٣٤٣/١٢)، وشرح النووي (٧٦/١٠).



بمزيد الجلوس عندها بسبب العسل، ورأت أن التوصل إلى بلوغ المراد من ذلك لحسم مادة شرب العسل الذي هو سبب الإقامة، لكن أنكرت بعد ذلك أنه ترتب عليه منع النبي ﷺ من أمر كان يشتهي، وهو شرب العسل مع ما تقدم من اعتراف عائشة الأمرة لها بذلك في صدر الحديث، فأخذت سودة تتعجب مما وقع منهن في ذلك، ولم تجسر على التصريح بالإنكار، ولا راجعت عائشة بعد ذلك، لما قالت لها: اسكتي. بل أطاعتها وسكتت، لما تقدم من اعتذارها في أنها كانت تهاجها، وإنما كانت تهاجها لما تعلم من مزيد حب النبي ﷺ لها أكثر منهن، فخشيت إذا خالفتها أن تغضبها، وإذا أغضبتها لا تأمن أن تغير عليها خاطر النبي ﷺ، ولا تحمل ذلك، فهذا معنى خوفها منها.

وفيه: استعمال الكنايات فيما يستحيا من ذكره، لقوله في الحديث: فيدنو منهن. والمراد: فيقبل ونحو ذلك، ويحقق ذلك قول عائشة لسودة: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك، فقولي له: إني أجد كذا. وهذا إنما يتحقق بقرب الفم من الأنف. ولا سيما إذا لم تكن الرائحة



طافحة، بل المقام يقتضي أن الرائحة لم تكن طافحة، لأنها لو كانت طافحة لكانت بحيث يدركها النبي ﷺ، ولأنكر عليها عدم وجودها منه^(١).

وفي ضوء هذا لا ينبغي للضرائر: ألا يفعلن ما يشق على الزوج أو يخرجه، أو ما يكيده، ويكيد غيرهن من زوجاته، فيقع منه ما لا يحمد عقباه، وليس عنده ما عند رسول الله ﷺ من العصمة وقوة الصبر والتحمل، وحسن العشرة وصناعة المعروف. وألا يجعلن ما حدث من أمهات المؤمنين مدعاة لهن في الكيد والوقعة والتحيل، الذي يضر بالزوج والضرة، فيجعل الحياة جحيماً لا يطاق.

كما ينبغي على الزوج إذا حدث مثل هذا: أن يكون قدوته في ذلك رسول الله ﷺ، فيجتهد في إيقاع تصرفاته وسلوكياته على وفق ما وقع من النبي ﷺ، ويحتسب في ذلك أجره على ربه في اقتدائه برسوله ﷺ، وحسن معاشرته لأهله، وصبره على اعوجاجهن، ورفقه بهن، وفي كل ذلك خير كثير.

(١) فتح الباري (٩/ ٣٨٠).



كما ينبغي على الضرائر: أن يلتمسن رضا الزوج،
ويحرصن على ذلك، فيجتمعن على إرضاء أحب نساءه
إليه وعدم إغضاها، خشية أن يتغير قلبه عليهن، فيجتنبن
كل ما يسوؤها، بل يتقربن إليه بحبها، ويجعلنها سلمًا
للوصول إلى محبته ورضاه.

كما ينبغي على الزوج: ألا يصدر منه ما يثير الشبه
والشكوك، ويحرك المشاعر، ويشعل نار الغيرة بين نساءه،
خاصة وأنهن مهيئات لقبول ذلك.

وينبغي على الزوجة: أن تفيء إلى الورع، وتؤوب إلى
التقوى، وتفزع إلى ربها، ليرد إليها صوابها ويلم شعثها،
فتندم على ما فعلته من الحيل والمكايد.





هل يحق للزوجة أن تستحوذ على زوجها

دون ضرائرها؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخير أزواجه بدأ بي، فقال: «إني ذاكرك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك». قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾ (٢٩) (الأحزاب: ٢٨-٢٩) قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت^(١).

وعند مسلم: قال معمر: فأخبرني أيوب، أن عائشة قالت: لا تخبر نساءك أني اخترتك. فقال لها النبي ﷺ: «إن الله أرسلني مُبلِغاً، ولم يرسلني متعنتاً»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٧٨٦)، ومسلم (رقم ١٤٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٤٧٥) (٣٥).



قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وفي الحديث: ملاطفة النبي ﷺ لأزواجه، وحلمه عنهن، وصبره على ما كان يصدر منهن من إدلال وغيره، مما يبعثه عليهن الغيرة. وفيه: فضل عائشة لبداءته بها، كذا قرره النووي..

وفيه: أن صغر السن مظنة لنقص الرأي، قال العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عائشة أن تستأمر أبوها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر، لاحتمال أن لا يكون عندها من الملكة ما يدفع ذلك العارض. فإذا استشارت أبوها أوضحتها ما في ذلك من المفسدة، وما في مقابله من المصلحة.

وفيه: منقبة عظيمة لعائشة، وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها، وأن الغيرة تحمل المرأة الكاملة الرأي والعقل على ارتكاب ما لا يليق بحالها لسؤالها النبي ﷺ أن لا يخبر أحداً من أزواجه بفعلها، ولكنه ﷺ لما علم أن الحامل لها على ذلك ما طبع عليه النساء من الغيرة ومحبة الاستبداد دون ضرائرها، لم يسعفها بما طلبت من ذلك.



(تنبيه): وقع في النهاية والوسيط: التصريح بأن عاتشة أرادت أن يختار نساؤه الفراق، فإن كانا ذكراه فيما فهما من السياق فذاك، وألا فلم أر في شيء من طرق الحديث التصريح بذلك^(١).

وفي ضوء ذلك يلزم الزوج: الرفق بنسائه، وحسن معاشرته لهن، ولطفه بهن، واحتمال ما يصدر منهن من نقص أو عيب أو تقصير.

وقد تكون الزوجة صغيرة السن، فيكون في ذلك مدعاة لميل الزوج إليها والاهتمام بها في مثل هذه الأمور، ولا يعد ذلك طعنًا في الأخريات، أو فيه منقصة لكبيرات السن، فقد يحيلهن الزوج إلى كبر سنهن وكمال عقولهن وكثرة تجاربهن، ولما عندهن من الملكة وحسن التصرف والتدبير ما يقينهن ويحفظهن.

وينبغي على الزوج أيضًا: أن لا يغيب عن ذهنه أن المرأة مهما بلغ فيها من صحة الرأي وكمال العقل، قد يقع منها بسبب الغيرة أمر لا يليق بها وبمكانتها.

(١) فتح الباري (٨/ ٥٢٢).



قد تضر المرأة في نفسها محبة فراق زوجها لإحدى نساءه، بل وقد تسعى إلى تحقيق هذا المطلب بقول أو فعل، وترغب في الاستحواذ على زوجها دون ضررائها، فهذا لا ينبغي لها أن تسلكه، امتثالاً لنهي النبي ﷺ حين قال: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها، لتستفرغ صحتها، فإنها لها ما قدر لها»^(١). وإن ظل هذا المطلب مجرد أمان في نفس الزوجة أرجو أن لا يكون عليها منه بأس.

كما ينبغي على الزوج: إن أحس من زوجته رغبتها في فراقه لضررائها، ألا ينساق وراء هواها، أو يسعفها بما ترغب فيه.



(١) أخرجه البخاري (رقم ٥١٥٢)، ومسلم (رقم ١٤١٣-١٥١٥).



هل يحق للمرأة أن تغيب ضررتها؟

عن أسماء رضي الله عنها: أن امرأة قالت: يا رسول الله إن لي ضرة فهل عليّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: (باب المتشبع بما لم ينل، وما ينهى من افتخار الضرة) أشار بهذا إلى ما ذكره أبو عبيدة في تفسير الخبر. قال: قوله: «المتشبع» أي المتزين بما ليس عنده، يتكثر بذلك، ويتزين بالباطل: كالمرأة تكون عند الرجل ولها ضرة، فتدعي من الخطوة عند زوجها أكثر مما عنده، تريد بذلك غيب ضررتها^(٢).

وقوله ﷺ: «كلابس ثوبي زور». فيه تنفير النساء عن سلوك هذا الخلق الذميم، وهو الكذب حيث لم تحظ هذه الزوجة بالخطوة التي ادعت، ولم يعطها زوجها ولم تأخذ منه شيئاً مما قالت. وفيه ظلم للنفس بارتكاب النهي، وظلم

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٢١٩)، ومسلم (رقم ٢١٢٩-٢١٣٠).

(٢) فتح الباري (٣١٨/٩).



للغير بالإفساد بين الضرة وزوجها، فتنشأ بينهما العداوة والبغضاء. وهذا فاش بين الضرائر إلا من رحم الله.

وفي ضوء هذا ينبغي على الزوجة: أن تتقي الله عز وجل، وتخشى يوماً تقف فيه بين يديه سبحانه، فيحاسبها على الصغير والكبير والجليل والحقير.

كما لا يحق للمرأة أن تدعي أن لها مكانة غير التي لها أمام ضرتها، لتوهمها أنها ذات منزلة وحظوة لدى زوجها، لتثير حفيظتها وغيرتها، وتغيظها^(١).

وأن على الزوج إذا تبين له بالبراهين القاطعة والأدلة الساطعة أن إحدى نسائه تتصف بهذه الخصلة، وتتخلق بهذا الخلق أن يذكرها بهذا الحديث، وأنه لا ينبغي لها أن تكون بهذه المنزلة الردية، وهذا النعت المذموم، بل لا يقف الأمر عند هذا الحد إذا لم ترتدع وتستجب لنداء الحق، فعليه أن يأطرها على الحق أطراً، وأن يأخذ على

(١) فعن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «... ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها، لم يزد الله إلا قلة» أخرجه مسلم (رقم ١١٠)، وانظر: فتح الباري (١١/٥٣٨)، وشرح النووي (٢/١١٩-١٢١).



يديها حتى تنتهي، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيوان»^(١).



(١) أخرجه مسلم (رقم ٤٩).



من الغيرة ما يغتضر

عن هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل! فلما نزلت: ﴿تُرْجَى مَن تَشَاءُ مِنْهُمْ﴾ (الأحزاب: ٥١)، قلت: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قالت: كنت أغار من اللائي وهبن أنفسهن. وهذا يشعر بتعدد الواهبات، وقد تقدم تفسيرهن في تفسير سورة الأحزاب، ووقع في رواية أبي سعيد المؤدب الآتي ذكرها في المعلقات، عن عروة عن عائشة قالت: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم. وهذا محمول على تأويل أنها السابقة إلى ذلك، أو نحو ذلك من الوجوه، التي لا تقتضي الحصر المطلق.

قوله: فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها. وفي رواية محمد بن بشر الموصولة عن عائشة: أنها

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥١١٣)، ومسلم (رقم ١٤٦٤).



كانت تعير اللائي وهبن أنفسهن. قوله: أن تهب نفسها.
زاد في رواية محمد بن بشر: بغير صداق.

قوله: فلما نزلت: (ترجي من تشاء) في رواية عبدة
ابن سليمان، فأنزل الله ترجي. وهذا أظهر في أن نزول
الآية بهذا السبب. قال القرطبي: حملت عائشة على
هذا التقييح الغيرة، التي طبعت عليها النساء، وإلا فقد
علمت: أن الله أباح لنبيه ذلك، وأن جميع النساء لو ملكن
له رقهن لكان قليلاً.

قوله: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. في رواية
محمد بن بشر: إني لأرى ربك يسارع لك في هواك. أي
في رضاك. قال القرطبي: هذا قول أبرزه الدلال والغيرة،
وهو من نوع قولها: ما أحمدكما، ولا أحمد إلا الله. وإلا
فإضافة الهوى إلى النبي ﷺ لا تحمل على ظاهره، لأنه
لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل بالهوى، ولو قالت: إلى
مرضاتك لكان أليق، ولكن الغيرة يغتفر لأجلها إطلاق
مثل ذلك^(١).

(١) فتح الباري (٩/١٦٤-١٦٥).



وقال بدر الدين العيني رحمه الله تعالى: قولها: (إلا يسارع في هواك) أي في الذي تحبه، يعني ما أرى إلا أن الله تعالى موجد مرادك بلا تأخير، منزلاً لما تحبه وترضى^(١).

في ضوء هذا ينبغي على الزوج: أن يتجاوز عن زوجته ويغفر لها خطأها، ما لم تتعد إلى انتهاك محرم أو تضييع حق، والأولى به في مثل هذه المواقف أن يتسامح ويتنازل، ولا يحاسب على كل صغيرة وكبيرة، وإلا صارت الحياة مرتعاً وخيمًا.

وكما ينبغي على الزوجة: أن تختار كلماتها، وتنتقي ألفاظها، حتى لا تتفوه بكلمة تهدم بها كيان أسرتها، وتجلب على نفسها غضب زوجها، ومن ثم غضب ربها وعقوبته.



(١) عمدة القاري (١٠٩/٢٠).



إيثار الضررة لضررتها مجلبة لرضا الزوج

وامتلاك قلبه

لا ريب أن الإيثار منزلة عالية وخصلة غالية، ومن شيم الكرام، ولا يقدر عليها إلا الفضلاء من الرجال والنساء، فشح المرأة بزوجهما جبلت فيها، لا تستطيع الانفكاك عنه، ولا تلام على ذلك، فهذه فطرة وغريزة في طبائع النساء.

فلا غرو إذا شحت المرأة بزوجهما، وحرصت عليه ألا تشاركها فيه غيرها، ولكن هذا لا يعطيها الحق إذا ما تزوج عليها أن تهضمه حقه أو تعتدي على شريكها فيه، فلا بد من التقيد بأوامر الشريعة والالتزام بضوابط الدين الحنيف، الذي أباح له هذا الحق، وإن لم يكن على هوى الزوجة ومرادها، فهي هي السيدة الفاضلة الجليلة أمنا السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وأرضاها، تضرب لنا مثالا رائعا على الإيثار، فتتنازل عن ليلتها ويومها لعائشة رضي الله عنها استجلاباً لمحبة النبي ﷺ، ورغبة في البقاء في عصمته، وأن تبعث يوم القيامة ضمن زوجاته معه في جنات النعيم.



فلعل في هذا الأنموذج الرائع من السيدة سودة مدعاة لنسائنا اليوم أن يتخلقن بهذا الخلق الحميد، وأن يسلكن هذا السلوك الجميل، فلا ضير إذن للزوجة أن تأتي لزوجها وتقول له: قد وهبت هذه الليلة لزوجتك فلانة -وهي تعلم أنه يميل إليها- فكيف يكون حال هذا الزوج مع هذه المرأة التي آثرته بليتها على نفسها، وفضلته أن يبيت مع ضررتها حباً له وتفضيلاً لهواه على هواها!

لا شك أن هذا العمل يؤسر الزوج، ويميل بقلبه إليها، وترتاح نفسه لها، وبذلك تسود المودة والألفة بين الزوجين، ويخيم على البيت الحب والرفق والرحمة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال العلماء: إذا وهبت يومها لضررتها، قسم الزوج لها يوم ضررتها، فإن كان تالياً ليومها فذاك، وإلا لم يقدمه عن رتبته في القسم، إلا برضا من بقي. وقالوا: إذا وهبت المرأة يومها لضررتها، فإن قبل الزوج لم يكن للموهوبة أن تمتنع، وإن لم يقبل لم يكره على ذلك. وإذا وهبت يومها لزوجها ولم تتعرض للضرة، فهل له أن ينخص واحدة، إن كان عنده أكثر من



اثنتين، أو يوزعه بين من بقي. وللواهرة في جميع الأحوال الرجوع عن ذلك متى أحبت، لكن فيما يستقبل لا فيما مضى. وأطلق ابن بطال أنه لم يكن لسودة الرجوع في يومها الذي وهبته لعائشة.

وقال: قوله: وهبت يومها لعائشة. تقدم في الهبة من طريق الزهري عن عروة بلفظ: «يومها وليلتها»، وزاد في آخره: «تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ»، ووقع في رواية مسلم من طريق عقبة بن خالد عن هشام: «لما أن كبرت سودة وهبت»، وله نحوه من رواية جرير عن هشام، وأخرج أبو داود هذا الحديث، وزاد فيه بيان سببه أوضح من رواية مسلم، فروى عن أحمد بن يونس عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة بالسند المذكور: «كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم» الحديث، وفيه: «ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت، وخافت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة». فقبل ذلك منها، ففيها وأشباهها نزلت: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ (النساء: ١٢٨) الآية، وتابعه ابن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد في



وصله، ورواه سعيد بن منصور عن ابن أبي الزناد مرسلًا، لم يذكر فيه عن عائشة. وعند الترمذي من حديث ابن عباس موصولًا نحوه، وكذا قال عبد الرزاق عن معمر بمعنى ذلك، فتواردت هذه الروايات على أنها خشيت الطلاق فوهبت. وأخرج ابن سعد بسند رجاله ثقات من رواية القاسم بن أبي بزة مرسلًا: «أن النبي ﷺ طلقها، فقعدت له على طريقه، فقالت: والذي بعثك بالحق مالي في الرجال حاجة، ولكن أحب أن أبعث مع نسائك يوم القيامة، فأشدك بالذي أنزل عليك الكتاب: هل طلقني لموجدة وجدتها عليّ؟! قال: لا. قالت: فأشدك لما راجعتني. فراجعها، قالت: فإني قد جعلت يومي وليتي لعائشة، حبة رسول الله ﷺ»^(١).

قوله: وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة، في رواية جرير عن هشام عند مسلم: «فكان يقسم لعائشة يومين: يومها، ويوم سودة»^(٢).

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه (٤/٢٦٦ رقم ٢٠٩٤)، والبيهقي في الكبرى (٧/٧٥ رقم ١٣٢١٣)، وانظر: سبل السلام (٣/١٦٤)، ونيل الأوطار (٦/٣٧٤).

(٢) فتح الباري (٩/٣١٢-٣١٣)، وانظر: عمدة القاري (٢٠/١٩٨)، وتحفة الأحوذى (٨/٣٢٠)، ونيل الأوطار (٦/٣٧٤).



قال البيهقي رحمه الله: قال الشافعي رحمه الله: وقد فعلت ابنة محمد بن مسلمة شيئاً بهذا حين أراد زوجها طلاقها^(١).

قلت: وما أحسن فعلها، حين تشبهت بالكريمة أم المؤمنين سودة رضي الله عنها، وحين أحسنت لزوجها ونفسها، وأغاظت شيطانها، ولم تدعه يفرح بطلاقها، فرحمها الله وأحسن إليها مقابل ما فعلت، وحشرها ربها مع الصالحات من إماءه، وأبقى لها ذكراً حسناً في العالمين، تذكر بحسن الصنعة، وألا تحرم من دعاء عباد الله الصالحين.

فلتعلم الزوجة: أن من أهم ما تكسب به المرأة ذات الضرائر زوجها الإحسان إلى ضرائرها والتجاوز عن أخطائهن معها، لتظهر بمظهر العاقلة المترفة عن السفاسف، المتمسكة بدينها، فالناجحة هي التي تريح زوجها مهما كان من أمر، والمعذبة الفاشلة هي التي تملأ حياتها مع زوجها بالشكاية والعويل، خسرت الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

وكانت حفصة بنت سيرين رحمها الله تقول: أما تستحيي الحرة أن تغار؟ وأرادت يوماً أن تدخل إلى بيتها،

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٧٥).



فإذا زوجها مع جارية له على فراشها، فأغلقت عليها الباب وانصرفت، فلما كان بعد أيام ضرب الجارية فقالت له: أتضرب العروس؟! فضحك، وقال: قد علمتُ أنك قد عرفتِ، والجاريةُ لك.

ومن العجائب والغرائب أن الجبرتي رحمه الله ذكر في تاريخه (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار) فقال: ومات رمضان جلبي المذكور سنة ١١٣٩ هـ واستمرت ابنته في عصمة المترجم حتى ماتت في المحرم سنة ١١٨٢ هـ، وعمرها ستون سنة. وكانت من الصالحات الخيرات المصونات، وحجت صحبته في سنة إحدى وخمسين، وكانت به بارة، وله مطيعة.

ومن جملة برها له وطاعتها: أنها كانت تشتري له من السراري الحسان من مالها، وتنظمن بالخلي والملابس، وتقدمهن إليه وتعتقد حصول الأجر والصواب لها بذلك، وكان يتزوج عليها كثيراً من الحرائر ويشتري الجواري، فلا تتأثر من ذلك، ولا يحصل عندها ما يحصل في النساء من الغيرة^(١).



(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبدالرحمن بن حسن الجبرتي (١/٦١٣).



في المعارض مندوحة عن الكذب

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الكذب من كبائر الذنوب، ومن الموبقات التي توبق صاحبها في النار والعياذ بالله، ويكفي في مذمة الكذب والكذابين قول رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

ولم يرخص الشرع الكذب في شيء إلا في ثلاثة مواضع، كما ثبت في الحديث الصحيح، عن ابن شهاب قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من المهاجرات الأول، اللاتي بايعن النبي ﷺ أخبرته: أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً، وينمي خيراً» قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب، إلا في

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٠٩٤) ومسلم (رقم ٢٦٠٧).



ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»^(١).

لما في المصالح التي تتحقق من وراء ذلك، ودفع المضرة التي قد تنجم عن الصراحة في بعض المواقف، ولا يخفى على العاقل المنفعة التي تترتب على ذلك، سواء في المعركة مع العدو، أو الإصلاح بين الناس، أو علاقة الزوجين، بعضهما مع بعض، من أجل ذلك أباح الشرع الحنيف في مثل هذه المواقف عدم التصريح بالحقيقة، بل والإخبار بخلافها من أجل جلب المنافع ودفع المفاسد، أو تقليلها.

ومن هذه الصور ما أخبر به الشعبي: أن عبد الله بن رواحة أصاب جارية له، فسمعت به امرأته، فأخذت شفرة فأتته حين قام، وقالت له: أفعلتها يا ابن رواحة؟ فقال: ما فعلت شيئاً. فقالت: لتقرأن قرآنًا، وإلا بعجتك بها. قال: ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب فهبت ذلك، وهي امرأة غيراء في يدها شفرة، لا آمن أن تأتي بما قالت.

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٠٥)، وأخرج البخاري أوله فقط (رقم ٢٦٩٢).



فقلت:

وفينا رسول الله يتلو كتابه

إذا انشَقَّ معروفٌ من الصَّبح ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا

به موقناتٌ أن ما قال واقع

بيت يجافي جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالكافرين المضاجع^(١)

قال: فألقت السكين من يدها، وقالت: آمنت بالله،

وكذبت البصر.

(١) هذه الأبيات من بحر الطويل، وقائلها: عبدالله بن رواحة الصحابي الجليل الخزرجي، أبو محمد، يعد من الأمراء والشعراء، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية، وكان أميرًا في موقعة مؤتة، فاستشهد فيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة ٨هـ، وذكر الأبيات ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٦٠)، والطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٦٧٠ رقم ٩٨٦)، والشيباني في الأحاد والمثاني (٤/ ٣٨ رقم ١٩٨٢) والبخاري في تاريخه الأوسط (١/ ٢٣ رقم ٧١).



قال: فأتيت النبي، ﷺ، فأخبرته بذلك، فضحك وأعجبه ما صنعت^(١).

وفي ضوء ذلك إذا تعرض الزوج لموقف قد يسبب له إشكالية مع زوجته، أو يفسد العلاقة معها فقد أفسح له الشرع في استعمال مثل هذه المعاريض، ليخرج من ورطة قد تسبب له حرًا أو مشقة، أو تجلب له همًا وغمًا، هو في غنى عنه، ولكن ينبغي ألا يتوسع في استخدام هذه الرخصة، لكي لا تصير له عادة، وتصبح له جلبة، ويتطبع بها في أكثر أحواله، فيتعامل بها مع الجميع وفي غير الضرورة، حتى يصل به الأمر إلى التساهل والتسامح، فيقع في الكذب ظنًا منه أنه ما زال في ساحة المعاريض، بينما هو في الحقيقة جانب الصواب، وتعدى الحدود، ووقع في الكبيرة، وقارف الأكذوبة، حتى تصير له خلقًا

(١) أخرجه الدارقطني (١/ ١٢٠ رقم ١٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/ ١١٥-١١٨)، وابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف (رقم ٢٣٨)، وفي العيال (٢/ ٧٧٠ رقم ٥٧١)، وفي مداراة الناس (رقم ١٦٤)، وإن كان في سند هذه القصة كلام، كما ذكر بعض أهل الجرح والتعديل، إلا أنها مما يستأنس بها، انظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق (١/ ١٣٩).



وعادة، وقلما يتخلص منها إلا أن يشاء الله رب العالمين،
نسأل الله العافية والسلامة ومجانبة المآثم، اللهم آمين.





الغيرة مفتاح الطلاق

لا ريب أن الغيرة إذا زادت عن حدها صارت وبالأعلى الأسرة: الزوج والزوجة والأولاد، لأنها مجلبة للمنغصات، ومدعاة للوقوع في المعضلات، الأمر الذي يستدعي من الزوجين التروي والتحمل والتعقل في مداوات هذه العلة، وتهذيبها وضبطها بما يرضي الرب سبحانه وتعالى، وفي حدود القدرة الممكنة والمستطاعة من قبل الزوجة، والحكمة والرفق من قبل الزوج، وإلا صارت الغيرة قنبلة موقوتة تهدد كيان البيت وتقوض دعائمه بكسر المرأة بطلاقها، لذا كان حرياً بالزوجين أن يتقيا الله في بيتهما وأسرتهما وأولادهما، فقد صدق عبدالله ابن جعفر رحمه الله، إذ يقول لابنته ليلة زفافها: يا ابنتي إياك والغيرة، فإن الغيرة مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتاب، فإنه يفسد المودة، واعلمي يا ابنتي أن أطيب الطيب الماء^(١).

(١) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (ص ٢٥٩)، وفي المحاسن والأضداد (ص ١٩٥)، والشيخ سيد سابق في فقه السنة (٢/ ٢٣٣).



إلا أنني أوصيك يا بنيتي بالقصد في الغيرة، واحذري
أن تبالغى فيها، فتغصى عليه عيشه، وتبغضى إليه نفسك،
وكذلك لا تكتمي مشاعرك، ففي الوقت نفسه تشعرين
زوجك بحبك الشديد له، لأنك تغارين عليه بالقدر
الذي يشعره بتعلقك به وحبك إياه، من غير تنكيد عيش
وشغل بال، فكثير من الأزواج يسعدهم هذا الشعور.

وقد قيل: لذة المرأة على قدر شهوتها، وغيرها على
قدر محبتها^(١).

أما الغيرة المفرطة فحذار حذار منها، فإنها كما جاء
عن عبد الله بن جعفر وأبي الأسود الدؤلي وغيرهما في
وصاياهم: الغيرة مفتاح الطلاق.

وصدق التابعي الجليل أبو الأسود الدؤلي رحمه الله
حين قال:

خذي العفو مني تستديمي مودتي

ولا تنطقي في سورتى حين أغضب

(١) ذكره الجاحظ في المحاسن والأضداد (ص ١٤٧).



فإني وجدت الحب في الصدر والأذى

إذا اجتمعما لم يلبث الحب يذهب^(١)

في ضوء ما سبق يتبين لنا: أن الغيرة أمر لا مفر منه من قبل الزوجة، وهو دليل على محبة الزوجة لزوجها، وعلامة صحية على الحياة الزوجية السعيدة، شريطة ألا تتجاوز هذه الغيرة حدودها، وألا تنساق الزوجة وراء الغيرة، فتفتت كبدها أو هاماً وظنوناً وشكوكاً، وتقلب حياتها جحيماً وسعيراً، فلا بد من مراعاة مشاعر الزوج والحفاظ عليه، والخوف من تفلته وضياعه منها.

كما أن على الزوج أن يراعي نفسية زوجته، ويحافظ على قلبها، فلا ينجس عليها حياتها بأشياء توهم المرأة بالغيرة القاتلة، وتوقعها في حبالها الشائكة وأتونها

(١) هذان البيتان من بحر الطويل، وقائلهما أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو الكناني، يعد في التابعين، ومن الأعيان والأمراء والشعراء والفرسان، وضع علم النحو، تولى إمارة البصرة في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، وبالع معاوية في إكرامه، توفي سنة ٦٩ هـ. والبيتان ذكرهما ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (رقم ١٣٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/٩)، وذكر البيت الأول ابن منظور في اللسان (٧٥/١٥)، والحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٥٩/١٣).



المتوهج، فلا يعتمد ذلك قصداً، أو دون قصد، بل يحرص
على مشاعرهما، ويحفظ لها عشرتها، ويهون عليها غيرها،
ويطمئن قلبها، فلا يفتح لها باباً تأتي إليها منه سموم الغيرة
الحارقة.





الوصاية بالنساء خيراً

عن أبي كبشة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«خيركم خيركم لأهله»^(١).

وعن ابن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم
خيركم لنسائهم»^(٢).

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«خيركم خيركم للنساء»^(٣).

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:
«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(٤).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٤١ رقم ٨٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٢٦٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (رقم ١٩٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٢٦٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ١٧٣)، وصححه ووافقه الذهبي. وكذا الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٣١٦).

(٤) أخرجه الترمذي (رقم ٣٨٩٥)، وقال: حسن غريب صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٣١٤).



وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المرأة كالضلع: إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج»^(١).

وقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وقوله: «فاستوصوا» أي أوصيكم بهن خيراً، فاقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها، قاله البيضاوي، والحامل على هذا التقدير: أن الاستيضاء استفعال، وظاهره طلب الوصية وليس هو المراد، وقد تقدم له توجيهات آخر في بدء الخلق.

قوله: «بالنساء خيراً» كأن فيه رمزاً إلى التقويم برفق، بحيث لا يبالغ فيه فيكسر، ولا يتركه فيستمر على عوجه،

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥١٨٤)، ومسلم (رقم ١٤٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥١٨٦)، ومسلم (رقم ١٤٦٨) (٦٠).



وإلى هذا أشار المؤلف باتباعه بالترجمة التي بعده، باب:
﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحریم: ٦)، فيؤخذ منه أن
لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من
النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها أو ترك الواجب،
وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة.

وفي الحديث النذب إلى المداراة لاستمالة النفوس
وتألف القلوب. وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن،
والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع
بهن، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة، يسكن إليها،
ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم
إلا بالصبر عليها^(١).

وقد ورد في المداراة حديث عن سمرة بن جندب رضي الله عنه:
أن النبي ﷺ قال: «ألا إن المرأة خلقت من ضلع، وإنك إن ترد
إقامتها تكسرهما، فدارها تعش بها» ثلاث مرات^(٢).

(١) فتح الباري (٩/٢٥٣-٢٥٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/١٩٢ رقم ٧٣٣٣)، وقال: هذا حديث صحيح
الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وصححه ابن حبان في
صحيحه (٩/٤٨٥ رقم ٤١٧٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/٣٠٤):
رواه أحمد وأحمد والبزار بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح.



قال الدكتور عبد الكريم زيدان: بيّن الإسلام أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فيجب على الزوج أن لا يقسو عليها إذا صدر منها بعض التقصير في حقه، ولا يحمله تقصيرها على التقصير بواجب المعاشرة لها بالمعروف، فإن التقصير منها لا يقابل بالتقصير منه، ولكن ينبغي أن يقابل منه بالصفح الجميل وبالمسامحة الكريمة، وهذا هو الشأن بالمسلم، فهو مسامح كريم، فكيف في علاقته بزوجه؟ وهي أولى الناس في مسامحته وكرمه.

ثم إن على الزوج واجب معاشرتها بالمعروف، فعليه بالقيام بهذا الواجب نحوها، وإن هي أخلّت بواجب معاشرتها له بالمعروف، فالنساء في خلقهن شيء من الاعوجاج، الذي يترتب عليه شيء من التقصير والقصور في حق أزواجهن، فعلى الزوج أن يفقه ذلك، ويعاملها على هذا الأساس، جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك



على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»^(١).

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعفهن، وكراهة طلاقهن بلا سبب، وإن لا يطمع باستقامتها.

وفي رواية أخرى للإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرًا»^(٢).

وجاء في شرحه: قوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا» أي اقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها، وأرفقوا بهن، وأحسنوا عشرتهن، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فلا ينكر أعوجاجه، فكما أن الضلع الأعوج إذا ذهبت تقيمها

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٤٦٨) (٥٩)، وانظر: فتح الباري (٣٦٨/٦)،

(٩/٢٥٣)، وشرح النووي (٥٧/١٠).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٤٦٨)، وانظر: شرح النووي (٥٨/١٠).



من الاعوجاج الذي هو شأنه كسوته، لعدم قابليته لهذا التقويم، فكذلك المرأة إذا أردت إقامتها على الجادة إقامة تامة مرضية تذهب كل اعوجاجها، أدى ذلك إلى الشقاق والفراق، وهو كسرهما، لأن ما تريد من إقامة اعوجاجها بصورة تامة مرضية هو خلاف شأنها، وليس من وسعها استعدادها. وإن صبرت على سوء حالها وعدم قيامها بحق الزوج عليها ونحو ذلك، دام الأمر واستمرت المعاشرة، ودام استمتاعك بها، وحصل بها الإعفاف، وطلب الذرية الصالحة^(١) ^(٢).

قال الشيخ صلاح فتحى هلال: غيرة المرأة على زوجها مما لا ينكره أحد، وقد جاءت الأخبار بذلك عن السلف والخلف، ومن ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها في غير موضع، وهذا مما جبلت عليه المرأة ولا ينكر عليها، لكن لا يجوز لها الاسترسال في الغيرة، حتى تخرج بها غيرها إلى معصية الزوج، أو الكيد بضرتها.

(١) دليل الفالحين (٣/ ١٢٢-١٢٤).

(٢) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم (٧/ ٢٢٧-٢٢٨).



ويقول ابن الجوزي: وقد تخرج الغيرة بالمرأة إلى معصية الزوج، فيجب على المؤمنة أن تحمل نفسها على الصبر إذا كانت لها ضرة. اهـ.

وقد ضربت الصحايات المثل الأعلى في ضبط النفس، والشهادة بالخير لضرتها، والاعتراف بما لديها من إحسان، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه لمن طلبت النجاة^(١).



(١) الإملاء في الكبائر والمناهي الشرعية للنساء (ص ٥٨٥).



وقفات وتوجيهات في الختام

قبل أن أطوي هذه الصفحات المباركة إن شاء الله
أودّ أو ألفت نظر الرجال والنساء إلى وقفات لا بد منها
ولا مفر لنا من العمل بها والاسترشاد بها فيها طالما رضينا
بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا.

أما الوقفة الأولى: فهي تنبيه وتذكير لنفسي وإخواني
الأزواج: أن نتقي الله عز وجل ونلتمس رضاه في
الإحسان إلى نساءنا، فتتقرب إليه سبحانه بطاعته فيهن
والعدل بينهن، بل بالإحسان والرفق بهن، والحرص على
إرضائهن، والعمل بوصية النبي ﷺ لنا فيهن، وألا ننسى
قوله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي
منها آخر»^(١) فإن قصرت في حقه فلا يعاملها بالمثل، بل
يحسن هو، لعل هذا يردها إلى صوابها.

والوقفة الثانية: أن تحرص الزوجة كذلك على إرضاء
زوجها والإحسان إليه، وألا تجعل وجود زوجة أخرى
سبباً لتغيب الحياة وتكدير العيش، بل ترضى بقدرها

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٤٦٩)، وانظر: شرح النووي (٥٨/١٠).



وقسمتها، ولا تنسى الزوجة أن من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره، فإذا شاركتها امرأة في زوجها طفقت تتخبط وتتعثر، وتسيء إلى ضررتها وزوجها، وقد يكون ذلك منشأ الوهم وإساءة الظنون، وتجعل الغيرة سلمًا إلى انتهاك حرمت الله، والتعدي على حق الزوج وحق الضرة.

الوقفه الثالثة: ليكن في حساب كل من الزوج والزوجة، وهما إن شاء الله على الاستقامة والجادة وصراط الله المستقيم - ليعلم كل منهما أن شريعة التعدد مستهدفة من أعداء الله: اليهود والنصارى، فضلاً عن العلمانيين والمنافقين وأصحاب الشهوات الذين يخادنون ويعاشرهم في الحرام، كل هؤلاء يحبون أن يفشل المسلمون في تطبيق حياة التعدد، وتنفيذ هذا الأمر في واقع الحياة، فليحرص كل من الزوج والزوجة على نصرته شرع الله، وإقامته على أكمل وجه، وإن كان على حساب راحته هو، وإن كان فيه تقديم بعض التنازلات والتسامح في بعض الحقوق، من أجل أن ندلل ونبرهن على أن المسلمين بحمد الله يعيشون



حياة طيبة كريمة هنيئة، وفي هذا أكبر إغاظة لأعداء الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠)، بل نقذف بها في وجوه أعداء التعدد قائلين لهم: ﴿مُوتُوا يَغِيظُكُمْ﴾ (آل عمران: ١١٩).

الوقفه الرابعة: كثير من الزوجات تطلب من زوجها أن يعاملها كما كان رسول الله ﷺ يعامل نساءه، وتنسى وهي في وسط دخان الغيرة أن تعامل زوجها كما كان نساء رسول الله ﷺ يعاملنه ﷺ، فهذا هو رسول الله ﷺ بين نسائه على مدار سنوات عديدة، نستطيع أن نعد المواقف التي حدثت فيها خلافات أو مشاجرات على أصابع اليدين، كما مرَّ آنفًا، أما زوجة أحدنا اليوم فتحدث من المشكلات والمغاضبات كل يوم وكل ليلة، حتى صارت حياة كثير منا جحيمًا لا يطاق، وأتوْنَا مشتعلًا بنيران الغيرة، فكثر الشقاق والفراق والطلاق، وتشتت كثير من الأسر والزوجات، وضاع كثير من الأولاد، فأصبح



نصيب الشيطان في المعترك كبيراً، وضحاياه لا يعدون ولا يحصون، وإنا لله وإنا إليه راجعون. فليتيق الله الأزواج والزوجات، وليقفوا مع أنفسهم وقفات ووقفات، لمعالجة هذا الخلل وتقليل الضحايا.

الوقفه الخامسة: لتعلم الزوجة التي تزوج زوجها عليها أنه ليس بلازم ولا من الضروري أن يكون فيها عيب أو نقص، من أجل ذلك أقدم زوجها على الزواج من غيرها، فإن هذا من تلبس إبليس، ووحى شياطين الإنس، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فلتدع الزوجة هذا الهاجس، وتطرد هذا الشيطان الإنسي، الذي يفسد عليها حياتها.

الوقفه السادسة: لو أن الزوجة في حالة غياب زوجها عنها عند ضرائرها استفادت من غيابه عنها، فراحت تعتني بأولادها، وتحرص على تعليمهم وإرشادهم وتحفيظهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتربيتهم على طاعة الله ورسوله، بل تستغل هذا الغياب بحفظها وقراءتها وتوعية نفسها، وإقامة اعوجاجها، والحرص



على الصيام وقيام الليل، كان في ذلك خير كثير وبركة كبيرة وفضل عظيم ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

ولتعلم المرأة أن الدنيا قليلة وقصيرة مهما طالت، وأن متاعها زائل، ولا يبقى إلا العمل الصالح، ولا يستمر إلا الذكر الحسن.

الوقفه السابعة: ليعلم الزوج الذي لديه أكثر من امرأة: أنه في نعمة كبيرة وفضل عظيم، فكم من رجل ليس لديه زوجة واحدة، يعاني قسوة العزوبة ومرارة الوحدة، فينبغي عليه أن يقابل هذه النعمة بشكر الله عز وجل، ويحافظ على هذا الخير الذي هو فيه، لكي تدوم له هذه المنّة، وتحفظ له هذا العطية: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧).

الوقفه الثامنة: وليخش الزوج الذي لديه أكثر من امرأة من مغبة الظلم، فلا يميل إلى إحدى زوجاته ويظلم



الأخريات، وليضع نصب عينيه قول رسول الله ﷺ: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»^(١).

وليتق الزوج دعوة زوجته المظلومة، فإنها مستجابة، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه»^(٢).

* الوقفة التاسعة: أن تحرص الزوجة على أداء حق زوجها وإن قصر هو، فتقصيره ليس مدعاة لأن تقصر المرأة في حق زوجها، بل تصنع المعروف وتفعل الجميل، لعل في ذلك استمالة لقلبه واستجلاباً لعواطفه، ولتعلم المرأة أن حق زوجها عليها أعظم من حق والديها

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥-٣٤٧)، وأبو داود (رقم ٢١٣٣)، والترمذي (رقم ١١٤١)، وابن ماجه (رقم ١٩٦٩)، والدارمي (رقم ٢٢١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٥١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧)، وابن أبي شيبه (٦/ ٤٨ رقم ٢٩٣٧٤)، والطيالسي (رقم ٢٣٣٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٠٨ رقم ٣١٥)، وحسنه المنذري في الترغيب (٣/ ١٣٠ رقم ٣٣٧٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٣٨٢).



عليها، قال رسول الله ﷺ: «لو كنت أمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله، حتى ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه»^(١) وقال ﷺ: «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع»^(٢)، وفي رواية: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح»^(٣).

الوقفه العاشرة: ما أحلى الحياة في ظل طاعة الله عز وجل! وما أجمل العيش بين دفتي الكتاب والسنة! بل ما أروع أن يمسك الزوج بيد زوجته أو بأيدي زوجاته، وهو يخطو بهن نحو جنة الخلد دار النعيم المقيم، إلى منازلنا الأولى، ورحم الله شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية حين قال:

(١) أخرجه أحمد (٣٨١/٤)، وابن ماجه (رقم ١٨٥٣)، وصححه ابن حبان في صحيحه (٤٧٩/٩ رقم ٤١٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥١٩٤)، ومسلم (رقم ١٤٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٣٢٣٧)، ومسلم (رقم ١٤٣٦) (١٢٢).



وأقدم ولا تقنع بعيشٍ مُنْغَصٍ
 فما فاز بالذات من ليس يقدم
 وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها
 ولم يك فيها منزل لك يعلم
 فحيّ على جنات عدنٍ فإنها
 منازلنا الأولى وفيها المخيم
 ولكننا سبيّ العدو فهل ترى
 نعود إلى أوطاننا ونسلم^(١)
 تلك عشرة كاملة، أسأل الله عز وجل بمنه وكرمه
 وجوده وإحسانه أن ينفع بها قائلها وقارئها وناشرها
 والعامل بها.

(١) هذه الأبيات من بحر الكامل، وتنسب إلى ابن قيم الجوزية رحمه الله شيخ الإسلام الثاني، وهي قصيدة عظيمة تسمى الميمية، ذكر هذه الأبيات في كتابه حادي الأرواح (ص ٣١-٣٢)، وطريق الهجرتين (ص ٩٢)، ومدارج السالكين (١ / ١٢٣) (٣ / ٢٠٠)، ومفتاح دار السعادة (١ / ٩ - ١٠)، وذكر بعضها ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (ص ٣٨٠).



ومن منطلق الدعوة لدين الله، والعمل على إقامة شريعته السمحة في الأرض، وإزالة الغربة الثانية التي أخبر بها رسول الله ﷺ، والتناصح في الله، ووفاء بحق الأخوة، رأيت لزماً عليّ أن أخط بيميني هذه الكلمات، لعلّي أسد بها الثغر، وأرقع الفتق، وأداوي بعض الجراحات، التي ألمّت بواقع المسلمين، كما أني من وراء هذا العمل أرغب في الأخذ بزمام نفسي نحو الصلاح والإصلاح، لعلّي أندرج مع من عناهم الله بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

كما أني أقدم بين يدي ربي طوق النجاة، وأفتديها من الكريم سبحانه بتلك الكلمات، وذلك الجهد المتواضع وليس على الله بعزيز، كما أحاسب عملي هذا، وأنحي حجر عثرة من طريق المسلمين إلى الله والدار الآخرة، عسى أن يشكر ربي لي هذا الصنيع، فيغفر لي، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على





الطريق فأخبره، فشكر الله له؛ فغفر له»^(١) وفي رواية: «مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة»^(٢).

وكلي أمل أن تقبل نصحي، وتسد خللي، وتقل عثرتي، وتذكرني في دعائك، ولا تحرمني أجر استغفارك، أخذ الله بأيدينا ونواصينا إلى رضاه وجنته، ويسر لنا سبيل السعادة في الدنيا والآخرة ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

أخي الحبيب وأختي الزوجة لا يمنعكما أن تعملوا بوصيتي ما وقعت فيه من أخطاء مع زوجاتي، فلا يصدنكم خللي عن قبول نصحي، ولا تردوا أمري بالمعروف ونهيي عن المنكر بقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤)، فقد كنت حريصاً أشد الحرص على النجاح في

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٤٧٢)، ومسلم (رقم ١٩١٤).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٩١٤) (١٢٨).



حياتي، وبلوغ أعلى درجات السعادة، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وقد قيل: السعيد من وعظ بغيره^(١).

فلا أقل من أن أجد إخواني وأخواتي الأزواج والزوجات ناجحين في حياتهم، سعداء في أسرهم وفي بيوتهم، إن تم ذلك بسبب كلماتي هذه ونصائحي التي سقتها في كتابي هذا، فإنه مما لا ريب فيه أن ذلك يخفف عني عبء الإخفاقات التي وقعت فيها، ويعوض النفس بعضها مما فاتني، ويفرح القلب إذا رأيت أو سمعت عن زوجين سعيدين أو بيت يرفل في ثوب العافية.

راجياً المولى الكريم أن يحقق مطلبي، ويلبي ندائي، ويحيب دعائي، ويقبلني في عباده الصالحين، الدالين على الخير، الساعين في خدمة أوليائه، وعباده المتقين، اللهم آمين.

نظرت فيها وزدت عليها تعليقات يسيرة، واستدركت بعض الخلل في يوم الأربعاء الموافق: ٣ من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٣٤، المقابل ليوم ١٣ فبراير

(١) ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره». أخرجه مسلم (رقم ٢٦٤٥).



٢٠١٣م بمدينة الرياض، حرسها الله، والله الموفق
والهادي إلى سواء السبيل.

كتبه

صبري بن سلامة بن سلامة بن شاهين آل حسين
ssssh_1959@yahoo.com

00966567416363





فهرس المصادر والمراجع

- ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، أبو حامد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر القرشي: الصمت وآداب اللسان، ت: الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر القرشي: الإشراف في منازل الأشراف، ت: نجم عبدالرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.
- ابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر القرشي: كتاب العيال، ت: نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.
- ابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر القرشي: مداراة الناس، ت: محمد خير الدين رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.



- ابن أبي شيبة: أبو بكر، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي: مسند ابن الجعد، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البستي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ابن حجر: أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي: مسند إسحاق بن راهويه، ت: عبدالغفور البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.



- ابن رجب الحنبلي: أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد: جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ابن علان الصديقي: محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الشافعي: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين.
- ابن قيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله: الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله: بدائع الفوائد، ت: هشام عبدالعزيز عطا، وعادل عبدالحميد العدوي، وأشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت.



- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: البداية والنهاية، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.



- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- ابن هشام الأنصاري: محمد بن يحيى: المفصح المفهم والموضح الملهم لمعاني صحيح مسلم، ت: وليد بن أحمد حسين، الفاروق للطباعة والنشر. مصر، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٣ م.
- أبو الشيخ الأصبهاني: أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري: كتاب الأمثال في الحديث النبوي، ت: عبدالعلي عبدالحميد حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- أبو الشيخ الأصبهاني: أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري: التوبيخ والتنبيه، ت: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفرقان، القاهرة
- أبو الفتح العباسي: عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م
- أبو بكر الشيباني: أحمد بن عمرو بن الضحاك: الآحاد والمثاني، ت: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.



- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي: مسند أبي يعلى، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- الأبى المالكي: أبو عبدالله محمد بن يوسف السنوسي: إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨ هـ.
- أحمد بن حنبل: المسند، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.
- الألباني: محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، الممكلة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- الألباني: محمد ناصر الدين: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: التاريخ الأوسط (مطبوع خطأ باسم التاريخ



الصغير) ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي ومكتبة دار التراث، حلب القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبدالله: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ.
- الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر البصري: البيان والتبيين، ت: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٤١٨ ١٩٩٨ م.
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر البصري: المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.





- الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ت: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.
- الحاكم: محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن البغدادي: سنن الدارقطني، ت: السيد عبد الله هاشم يافاني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد: سنن الدارمي، ت: فواز أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م.
- زيدان: عبد الكريم: المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- سيد سابق: فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.



- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح متقى الأخبار.
- الصنعاني: محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني: سبل السلام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
- ضياء الدين المقدسي: أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد الحنبلي: الأحاديث المختارة، ت: عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.
- الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود: مسند أبي داود الطيالسي، ت: محمد بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

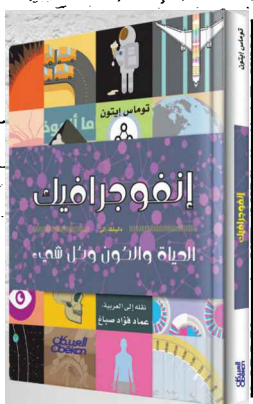
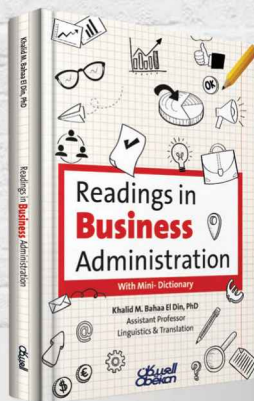


- العيني: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ت: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- القاضي عياض: ابن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل: إكمال المعلم بفوائد مسلم.
- القرطبي: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ت: محيي الدين مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق وبירות، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين: الجامع لأحكام القرآن، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- القضاءي: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبدالله: مسند الشهاب، ت: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- المباركفوري أبو العلا: محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم: تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.



- المزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج: تهذيب الكمال، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى.
- المنذري: عبدالعظيم بن عبدالقوي أبو محمد: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد: معاني القرآن الكريم، ت: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- هلل: صلاح فتحى: الإملاء في الكبائر والمناهي الشرعية للنساء ودليلها من الكتاب وصحيح السنة النبوية، مكتبة العلوم والحكم.
- الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

أحدث الإصدارات



Follow Us



obeikn reader

obeikanstores



obeikanpub

متجرنا على



كتبنا الإلكترونية



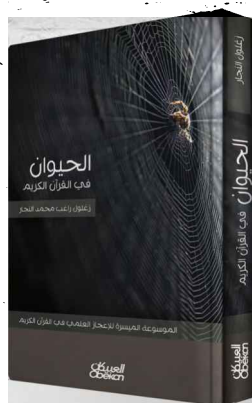
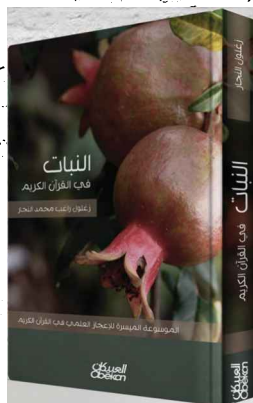
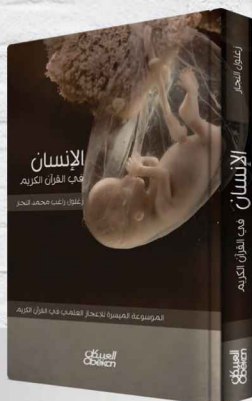
كتبنا الصوتية



www.kitabsawti.com

www.dhaa.sa

أحدث الإصدارات



Follow Us



متجرنا على



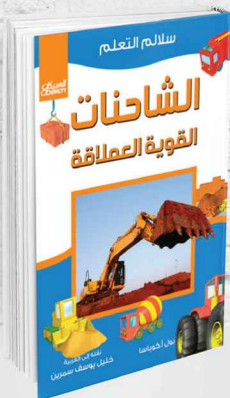
كتبنا الإلكترونية



كتبنا الصوتية



أحدث الإصدارات



Follow Us



متجرنا على



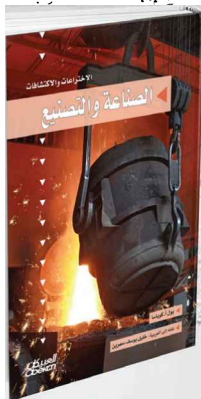
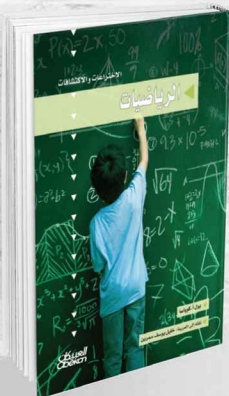
كتبنا الإلكترونية



كتبنا الصوتية



أحدث الإصدارات



Follow Us



obeikn reader

obeikanstores



obeikanpub



متجرنا على
وادي
wadi

كتبنا الإلكترونية



Google Play

amazon kindle

كتبنا الصوتية



Kitab Sawti
www.kitabsawti.com



دار هاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
www.dhad.sa